

(Arab)
PJ6123
.A9

(Arab)PJ6123.A9

Ayyubi, 'Abd Allah Huda
Kalimah fi islah hiraf
al-'Arab

[illegible]

Princeton University Library



32101 074275007

كَلَامُهُ
فِي أَصْنَافِ الْحُرُوفِ الْعَرَبِ

لَكَاتِبِهَا

عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي الْإِبْرَاهِيمِ

يَتَقَدَّمُ بِهَا إِلَى قَادَةِ الْعَرَبِ خَاصَّةً وَمُسْتَعْمَلِي حُرُوفِهِمْ عَامَّةً

الطبعة الاولى

حقوق الطبع والترجمة محفوظة لصاحبها

ثمن المدة ٢٥ غرشاً سورياً

مطبعة المعارف نجيب كنيرو - حلب

Ayyūbī, 'Abd Allāh Hudā
١٥١٢

كَاتِبَتِ
فِي أَصْنَافِ حُرُوفِ الْعَرَبِ

لِكَاتِبِهَا

عَبْدُ اللَّهِ هُدَى ابْنُ أَبِي بَكْرٍ

يتقدم بها الى قادة العرب خاصة ومستعملي حروفهم عامة

الطبعة الاولى

حقوق الطبع والترجمة محفوظة لصاحبها

مطبعة المعارف نجيب كندر - حلب

مقدمة

لما كان الانسان في هذه الحياة يختلف بعضه عن بعض في كل شيء، كنت انا ممن يؤثرون الخدمة العامة على الخاصة فيأتونها ليكون نصيبهم اوفر ممن يؤثرون خدمة انفسهم على خدمة المحيط .
 « واتعب خلق الله من زاده » وقصر عما تشتهي النفس بيله ،
 ولما كان النقص كثيراً في بعض انحاء هذه الحياة ويتفاوت عن بعضه كثيراً ويختلف كثيراً وكان في هذا الشرق اكثر منه في سائر الانحاء ، رأيت ان اخدم الشرق في اساسه وهو هذا الحرف ايجاباً للشرق وانصافاً له من جهة وقياماً بما يتوجب على الانسان قيامه من جهة اخرى .

ولقد كان لي ما اريده ان يكون كما ستقرأ في هذه الكلمة ايها الفاضل النبيل ، وانما لا تهدأ النفس من روعتها حتى تلمس الجسد والتجدد في هذا الشرق بدلاً من التمسك بما لا يفيد . ولكن اسهل علي ان اقول هاكم احرفي فاقراًوها بدلاً من كلمة انجمشها لو لا خشية ان يقال دخول بلا استئذان وهذا ما لا ارضاه ، فارساتها كلمة في هذا الشرق وانتظر صداها في كل انحاءه لاجيب والسلام .

عبد الله هدى

الايوبي

محمدي

تعلم القادة الكرام ، ما بلغ اليه الشرق من العظمة قديماً ، وما بلغت اليه العرب ، وبما بلغ كل منهما ما بلغه ، وبما رجع عما وصل اليه ، وتعلم كل قبيلة ما تقاسيه في سبيلها الى مثل ما خلفها الله احراراً ، وما نجهد الانفس في اعمالها لتعود كما كانت قديماً كباراً .

وتعلم القادة الكرام ، ما وصل اليه الغرب بمجده وعزيمه ، وما جعل له من القوة بعلمه ، ولان ساد الشرق اخيراً فيها اوصاله العلم اليه ، ولذهاب الاخر فرقا مختلفة لاهية كما يعلم العالمون . واعلم ، بان البلاد التي حصنها اتحادها وسلاحها علمها ، هي الجهة المنيرة التي لا يطمع فيها الفاتحون ، واصحابها لهم الذين على عيشهم ينبطون ولهذا هو الامل الاكبر الذي تصبو اليه النفوس ، ولاصلاحي نعم هذا النصير .

وتعلم القادة ، بان ندائنا لاتفاقها على هذا الاصلاح ، ليس الا لما في الحرف من رابطة لا تقل عن عن الوحدة الاولى من جهة ولكي تصل كل امة تستعمله الى الثقافة التي تتطلبها بطرف غير بعيد من جهة اخرى .

وتعلم بان الاصلاح المفيد او الذي لا يفيد ، هو واحد قبل الاختبار ، ولا يفيدنا ندائنا شيئاً ، اذا لم تصنع الاذان لما نقوله ، وتثبت القادة بما ندعيه ، وهذا كل ما اطلبه الان الى القادة الاحرار والى كل مستمع كريم

نقص الحرف الحاضر وغايته

فهذا حرف العرب ، وضع للغة العرب وحدها ، ولا لسنة العرب في الجاهلية ، ولا قلام العرب قبل الطباعة .

ونحن بعد ألف سنة من حضارة العرب ، لفي حاجة الى اكثر من لغة العرب تطلباً للعلم ولهذا نحتاج الى اكثر من حرفهم الحاضر عملاً بناموس النشؤ والتطور .

والسنتنا هي غير السنتهم في معرفة اللغة ، والحرف لغة هو طرف الشيء ولهذا نحتاج معه الى معرفة الطرف الاخر ايجاباً للفظ في صيانة الكلم .

واقلام هذا العصر هي الطباعة مبعث الثقافة ، والحرف الحاضر لا يصلح او لا يسهل فيها استعماله كما يسهل على قلم الكاتب . ولا يقيد اللفظ بشكله فيها الا بعد العناية الشديد ، ونحن في حاجة ماسة الى ما يصلح ويسهل ويقيد الحرف بأن واحد .

فهذا النقص الظاهر في الحرف والحلل الكبير في شكله واصطلاحه هو باختصار الكلام الذي لا خوف فيه مضر للغة العرب ولكل لغة تستعمله على الاطرق وسد مانع من تقدم مستعمليه بالسرعة التي يتطلبها المتأخرون ، ولهذا هو الافع الوحيد الذي الزمني العمل فيه منذ سنين طوال حتى وفق الله الى ما ا قوله الان .

مقابلة ما بين هذا الاصراع وما ذكر

اما اصلاحنا هذا فهو لكل اممة تستعمل حرف العرب ولا لسنه العرب الان صوتاً للغة وللطباعة والاقلام بأن واحد ولا شواذ فيه على الاطلاق .

فهو لا حاجة معه ابداً الى اي حرف اخر في محاكاة الاصوات شرقية كانت او غربية ايجاباً للعصر الحاضر ومقتضيات العلم ، ويمنع اللسان من الخطأ حتى ولو تعمد الانسان ذلك .

ويسهل في الطباعة استعماله لعدم تبدله شكلاً من جهة ولقلة حروفه من جهة اخرى ، لانه لا يزيد عدداً عن اصل الحرف الا بما ضم اليه في تصوير ما خرج عن لغة العرب .

هذا قياساً على ما ذكر من الحرف الحاضر كما رأيت . واما هو من حيث ميزته وبعض صفاته فهذا مما ساذكره في محله فيما بعد وانما المهم الذي لا بد من ذكره الان ، هو انه حرف عربي قائم على اساس الحرف الحاضر لو لا انه اثنان واجل واسهل ، وانه لا حاجة للطالب معه الى المرشد الا في تعلم الف بأه فقط . فتي قرأ الطالب مثلاً الف بأه قرأ بعدها ما اراد ان يقرأ فيه دون ان يحتاج الى استاذ او مرشد على الاطلاق . ومعنى هذا هو انه اذ استغرق الطالب الكبير او الصغير في حفظ حروفه اسبوعاً واحداً او اثنين او يوماً او يومين او شهراً على فرض التقدير ، فكأنما تعلم القراءة في هذه المدة الوجيزة قراءة صحيحة لا لحن فيها ابداً . وانما يحتاج الى الممارسة والاعتماد عليها فقط لكي يحسن السرعة فيها او يعتاد مسك القلم مثلاً وهذا ما يرجع الى الطالب وذكائه ولتأثير العادة التي لا بد من اكتسابها في كل عمل يأتيه الانسان حتى في اخذ طعامه . ودفعاً للشك في الصدمة الاولى التي لا بد منها كما اخال . فانني اثبت ما اقول به بتعليم القراءة والاملاء لاي كان من الناس عربياً كان او اعجمياً بطرف لا يتجاوز الاسبوع الواحد او الاثنين . هذا اذا كان آمياً لا يدرك شيئاً من القراءة او الاملاء ، واما اذا كان متعلماً او يعرف الحرف الحاضر مثلاً ، فبمجلس واحد لا اكثر يكون بعده مثلي فية لا ينقصه الا الممارسة ، والاعتماد عليه كما ذكر ، ولا اظني بحاجة ما الى الاكثر او بعد هذا الجزم لا سيما وقد رأينا تبدل كل شيء عن ذي قبل وخير الكلام ما قل ودل . فبلاد العرب او كل بلاد تستعمل حرف العرب يمكنها ان تقضي بهذا الاصلاح على الامة فيها دون ان تتكبد مشقة ما او مادة ما تذكر بطرف اكثره دون السنة الواحدة .

كيف ذلك ؟

فالاصلاح الذي يمكنك ان تفهمه المتعلم بساعة واحدة مثلاً ، يمكنك

ان تلقي به محاضرة للمآت من المعلمين ، وهؤلاء بدورهم يمكنهم ان يعلموا به الالوف من الامييين ، دون ان يجهد الاميون انفسهم الا الى معرفة اربعين شكلاً او حرفاً او عدداً مثلاً ليس معه حياء او بعده اصطلاح . وهذا كل ما في علم القراءة والكتابة مما يجب فهمه وهو منتهى التسهيل في طلب التعلم والواسطة الوحيدة لاستئصال الامية من البلاد .

على ان هذا الاصلاح او المشروع ليس هو في مصلحة البلاد من حيث نهضتها وحسب ، بل هو في مصلحة اصحابها من حيث هم ومن حيث هي على الاطلاق وخدمة كبرى للانسان في تسهيل قلمه ، اسوة بغيره من لوازمه على انه افضلها وانفعها ، وانه وحده مبعث الرقي .

فالقلم هذا وان تطور نوعاً بتطور الانسان عن ذي قبل وانما تطوره هذا او تحسنه لم يكن شيئاً يذكر نسبة الى تحسن غيره من سائر لوازم الانسان كما ترى ، فالحرف الحاضر هذا الذي يحب الانسان منذ آلاف السنين ما زال ناقصاً او زائداً من حيث هو لحل في اصله او وضعه ، وما زال هو هو من حيث صعوبة فهمه لو لا بعض تبديل او تحسين في شكله وايجاد المطبعة له في نهضة الغرب اخيراً .

على ان الانسان في معظم حاجاته ولوازمه ومقتضياته هو اليوم غيره في الامس ، فانظر اليه طائراً او مساحداً مثلاً ، بل انظر اليه في كل اغراضه في حياته التي تعرفها تجده في كل منها متقدماً عن ذي قبل الا في تسهيل القلم او قل تسهيل علم القراءة لاسيما في هذا الشرق . في حين انه كان يجب ان يكون علم القراءة او القلم هذا منتشراً في العالم كانتشار لغاته بلا تفريق ، لان القراءة او الكتابة هي اللغة الثانية التي يجب على كل انسان معرفتها . والحائل في كل ذلك هو هذا الحرف او القلم الذي نعمل لتسهيله وتعزيره ونتطرق اليه في هذا الكلام . فما هي الاسباب يا ترى ؟

فلما هذه الصعوبة في تعلم الحرف يا ترى ؟ على ان الحرف محدود كما هو معروف لو لم يكن هنالك من علة في الحرف او في الانسان بوقت واحد ولربما كانت علل او اسباب كثيرة ايها الادييب ، ذاهبة ما بين الحرف

واصحابه الاولين والآخرين .

ولو اردنا معرفة هذه الاسباب كلها او بعضها وجب علينا البحث في كل نواحي الحرف اولا ومعرفة الانسان الذي وضعه قبل معرفة الانسان الذي اهمله او عجز عن اصلاحه . ولو بحثنا عن هذه الاسباب كلها بحثاً دقيقاً كما يجب ، لوجدنا الاسباب اربعة لا اكثر منقسمة ما بين الحرف واصحابه الواضعين منهم والآخذين عنهم ، وهذه الاسباب او العلل التي نشير اليها هي التي توجب علينا استئصال ما نستطيعه منها ايها الاديب وهي التي تنطرق اليها في هذا الكلام .

فما هذه الاسباب او العلل يا ترى ؟ فالجواب على ذلك هي علة الحرف الحاضر من حيث تنسيقه واصطلاحه ، وعلة واضعه الاول من حيث علمه وعصره وغرضه ، وعلة مستعمله الان من حيث طبيعته التي فطر عليها وعلة العادة في الانسان لاختفاء ما صعب في الحرف بتأثيرها الكبير .

والعلة الكبيرة في هذه العلل هي علة الحرف التي نستطيع ازالتها وحدها بخلاف ما رأيت من العلل وأثماً باؤها ، كأنما ازلت العلل جميعها لا علة الحرف وحسب وهذا ما سنصل اليه .

واما كيف حصلت هذه العلة الكبيرة فاجيب ، لتأخر الاول علماً عن الاخير وتقدمه زمناً عليه جاء حرفه او وضعه مخلاً وصعباً من جهة وقاعدة لمن بعده غربت علما عنه بتأثير العادة فيه .

او ادرك الاديب ما نقصده ام نحتاج الى ايضاح اسهب مما ذكر ؟ فعلى كل لا بد لي من ايضاح بعض صفات الانسان من هذه الناحية ليتصوره الاديب في طبيعته الفطرية والاكتسابية فاقول :

كما ان الانسان يختلف بعضه عن بعض خلقاً وخلقاً وطبعاً ، فكذلك هو يمتاز بعضه عن بعض عقلاً ورأياً ونبوغاً وفي كل الصفات . وكما انه يختلف بعضه عن بعض باختلاف الزمان والمكان ، فكذلك اعماله يختلف بعضها عن بعض باختلاف الانسان نفسه او اختلاف الزمان .

ولهذه هي التقاليد القديمة التي يحتفظ الانسان بها خلفاً عن سلف بتأثير العادة فيه لا سيما الانسان المتأخر .

فالخرف الحاضر هذا ما جاء محلاً او عليلاً وعاش عليلاً زمنناً طويلاً الا لان واضعه لم يراع الناحية التي نود مراعاتها نحن اليوم او انه لم يستطع ذلك ولهذا جاء حرقه صعباً من هذه الناحية التي نشكو منها وهو كل ما هنالك .

فخري بالانسان بعد ان عرف عن علة الخرف ما عرفه ان يبذل كل ما اوتي من علم وقوة في سبيل تعزيزه وتسهيله ليعم العلم باصلاحه بدلاً من ان يبقى عثرة في سبيلنا او عقبة يحتاج معها الى الجِد والصبر الطويل .

فالقلم لا يحتاج الى تعريف ما لتبين فوائده الكبرى الى القاري الكريم فتحثه على اصلاحه وتسهيله ليعم العلم مثلاً واما اذا شاء ذلك فليُنظر الى ما اوجده الانسان الاخير من المخترعات التي بلغ بها بعض غاياته هذه التي كان لا يحلم فيها الاول ابدأً ، ولما حلم بها الاخير هذا ايضاً لو لم تنتشر الطباعة اخيراً ويعم العلم الاقطار التي انبعثت منها .

وذلك لان الادمنة الكبيرة التي لا تعرف الا بالاحتكاك هي مدفونة في اصحابها ولا تزال كذلك من حيث لا يشعر بها حتى يظنها انتشار القلم كما هي الحالة الراهنة في الغرب . ولكي يدرك كل منا ايضاً فوائد القلم التي لا يستطيع تقديرها الا بضدها على رأي الشاعر ليفرض نفسه امياً مثلاً بين اميين لا كتب لديهم ولا قلام ولا ما يقوم مقامها في جميع اعمالهم ومقتضياتهم ، يدرك عندها مقدار فوائده الكبرى وفراغ الكبير الذي لا يسد . ولهذه الحكمة من الآية الاولى التي خوطب بها سيد العرب « اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم » ، فلهذا جدير بالانسان ان يأتي كل ما اوتي من علم وقوة في سبيل تعزيزه وتسهيله ليعم العلم بانتشاره ويصل كل انسان بسرعة وراحة الى الغاية التي يرمي اليها ، خدمة لهم مصلحة العامة ، لانه هو السبيل الوحيد الى ذلك .

هذا من جهة ، ومن جهة ثانية ، كما ان الانسان ينفر مما صعب عليه بحكم الطبع الذي فطر عليه ، فكذلك هو ينجح الى كل ما سهل عليه بحكم الطبع نفسه . وكما انه يصعب عليه امتلاك ما صعب من العادات او الاعمال فكذلك هو يصعب عليه ترك ما اعتاد عليه منها مهما صعب .

ومن جهة ثالثة : ان كل ما سهل او صعب على الانسان بحكم الطبع الفطري هو الذي لا يمكن استأصاله منه ابداً كنفور الانسان من الصعب وحنوّه الى السهل مثلاً ، وبالعكس ذلك هو في كل ما اعتاد عليه من الاعمال او اكتسبه من الصفات ، لما فرقت طبيعتيه عن بعضهما بعضاً كما يعلم ذلك الفاضل الاديب . فقد ادرك القاري الكريم ولا شك علة هذا الحرف واسبابها سواء كانت هذه الموجودة في الحرف او في صاحبه الانسان منذ القدم ، وادرك الطبائع الفطرية التي تحول بينه وبين ما يستصعبه من الاعمال مثلاً كما ادرك ولا شك ايضاً من جهة ثانية تأثير الطبائع الاكتسابية فيه ، هذه الطبائع والعادات التي يصعب تركها عليه كثيراً . فكأنما الانسان من هذه الناحية ناحية الطبائع التي فطر عليها او التي اعتاد علي اتقانها ، مثلاً نافر مما صعب عليه ، وألف لما اعتاده بأن واحد . ولهذا هي الاسباب التي صعب معها تعلم الحرف او اصلاحه كما رأيت . وهذا مما سنذكره بالتفصيل فيما بعد سواء كان فيما يتعلق بتأثير العادات على الانسان او بتأثير الطبائع على اختلافها .

فالذي اريد الان من هذا الكلام ، هو ان الاعمال والدايات التي استقل الفرد بوضعها قديماً دون ان تتمحصها اجماعة وتدرسها درساً دقيقاً كما هي الحالة اليوم في وضع دساتير الاعمال ، هي مطعون فيها ولا عبرة في ان يقرها الجمهور بعد ان يألفها ويقادها زمناً طويلاً ، وذلك لان العادة من شأنها ان تخفي كثيراً من عيوب المقاد عليه بعد تمكنها من الانسان لاسباب اذا كان العمل دقيقاً جداً كما هي الحالة في الحرف الذي نود تقديمه . فكل دستور او عمل نخل هو قابل للتحسين والاصلاح ، الا الذي تعتاد عليه كثيراً فانك قلما تشعر بنقصه فتصاحبه وانما تشعر بشواذه او صعبه فتألفه حتي يشاء الله

واما ان الحرف تطور وتقلب ووصل الى الغاية القصوى اوحده الكمال كما يظنه البعض في حرف اللاتين مثلاً ، فهذا غير الواقع . فالحرف ما زال هو هو منذ آلاف السنين لو لا تبدله شكلاً والعبرة كلها في روحه لا في شكله كما سترى ، وانما مثل حرف اللاتين من حرف العرب من حيث السرعة في التعلم والراحة في السير ، كمثل الراكب عجلة من الراكب جهلاً ، غير انهما كليهما ما زال مثقلاً وكليهما في طريق غير مستقيم . بين ان الانسان في حاجة الى اكثر من ذلك سرعة وراحة توصلا الى غايته المطلوبة ، لا سيما نحن اصحاب هذا الحرف المتأخرين كثيراً عن مستعملي الحرف الآخر في كل ما نحتاجه . فاننا لفي حاجة الى القطار السريع في سبرنا بدلاً من ركوب الجمل هذا لاجتياز هذه المراحل البعيدة المدى التي هي بيننا وبين السابقين اذا لم نقل نحتاج الى المنطاد في ذلك لنستطيع ان نعادلهم في اعمالهم . ومن العبث او المحال ادراك السابقين وكل منا على ما هو عليه في سيره ، ولهذا هو المستحيل الذي لا نستطيع انكاره اذا قيل ليس هنالك من مستحيل .

فالانسان لا يزال يسعى الى الكمال وانتقاء الاصلح طالما هو بتقدم الى الامام وشعوره بذلك دليل ارتقاؤه . كما ان عكس ذلك دليل جموده وتأخره . وهذا كل ما اريد قوله في الحرف الذي هو الزم الاشياء الينا كما رأيت والذي لم يتقدم بتقدم كل ما يحيط بنا من لوازم الانسان مع وجوب ذلك اولاً لانه افضلها على الاطلاق والذي يجدر بهذا الشرق وحده اصلاحه دون غيره لانه مصدره الاول كما كان مصدر كل نور قديماً .

كيف يجب ان يكون القلم او الحرف

يجب ان يكون القلم من الانسان في ضبط اللغة ، كاللسان من الانسان في كل ما يريد قوله الانسان او كل ما يستطيع لفظه اللسان ، لانه هو النائب الوحيد عنه في حكاية الاصوات والرسول الامين بينه وبين السمع والبصر . وان يكون كذلك طائعاً في كل ما يلقيه الكاتب عليه سواء كان من لفته او خلافها ، وقديراً على كل ما يرپده الانسان منه في استعماله .

على ان يكون حرفه مع كل ذلك لا بالكثير ولا بالقليل ولا دون اللفظ ولا اكثر منه ، وخالياً بذات الوقت من كل تعقيد وتشويش . وذلك ايجاباً لطبيعة الانسان في كل ما يتبعه من جهة ولتقتضياته بعد ان اختلط شرقيه بغريبه وشاع العلم بين قاصيه ودانيه .

فالعرب مثلاً او مستعملو حرفهم هم بأشد الحاجة الى ما سطر بغير حرفهم او لغتهم من العلم ، وغم إنهم وهم بأشد الحاجة ايضاً الى تعزيز لغاتهم بتقيد حرفهم لا سيما العربية هذه المعربة ، والقاري الكريم يعلم بان الحرف الحاضر ليس على شيء مما ذكر .

هذا من حيث ضبطه للفظ وتقيد له على اختلافه شرقاً كان او غرباً ، واما من حيث تعلمه فيجب ان يكون اسهل علم يأتيه الانسان في حياته على الاطلاق كتعلم الاعداد مثلاً او كتعلم الجمع من اعمال الحساب البسيط ، لدرجة لا يكاد يتبينه الانسان الا ويرغب في اخذه ، وذلك لان احب علم اليك ما سهل فهمه عليك .

فالاجني عنه او الذي يريد دراسته او اختباره مثلاً ، يجب الا يكاد يعرف ياءه بعد الفه الا وهو عالم به دون ان يشعر بنفسه . او الامي الذي ندم على ما فاتته مثلاً يجب الا يندم على شيء اضاعه بعد اسبوع من التفتيش عليه ليقنّدي به كل امي في طلب ضالته المشوذة .

واما من حيث شكله فيجب ان يكون سهلاً على المطبعة والقلم وجميلاً فيهما وبتناسبه لبعضه حجماً ايضاً ، على ان الحرف الذي يقوم على اساس ما قبله يجب ان يتقيد به شكلاً حفظاً لحزاة الادب كما لا يخفى ، وانما يجب الا يضل البصر بشيء من الحركة او الاشارة والا تغل يد الكاتب في نقط روح ونحيب كما هي الحالة في حرف العرب الحاضر .

ومن حيث هو بالاجمال في كل ما ذكر يجب ان يكون المثل الاعلى في كل نواحيه ، حيث لا يشعر معه مستعمله او الذي يريد استعماله الا بالنشئة بدلاً من السامة . حروف قليلة مرتبة تكيف اي لفظ كان بكل سهولة ودقة وخطة رشيدة منظمة لا تبدل فيها ولا تغير حيث لا يفضل فيها قط ،

وسهولة في التعلم فريدة من نوعها حيث لا يفتقر متعلمه الى اكثر من تعلم الف بأنه فقط وان يكون في كل ذلك حافظاً كبيراً للغات وخادماً أميناً ومطيعاً لها .

فلو اراد الكاتب مثلاً ان يتناول الجغرافية او التاريخ او يدرس الطب او الكيمياء او يتناول اي علم كان في اي لغة كانت ويكتب فيه ، او لو اراد الكاتب مثلاً ان يتجول في محيط كبلاد العرب بقصد اختبارها او الوقوف على لغاتها واختلافها عن بعضها لهجة مثلاً ، او لو اراد جولة في الغرب او الشرق الاقصى مثلاً في اي غاية ارادها ، فيجب ان يكون لديه من الحرف ما يكفيه في كل ما يريد قوله حتى اذا قرأ آخر ما كتبه في ذلك ، فكأنما هو الذي سمع الاصوات منها كانت وعرف اصطلاح كل امة على كل شيء .

او لو اراد العربي مثلاً تعلم اي لغة تستعمله كالفارسية او التركية او غيرها وجد ان لا حاجة له في ذلك الى استاذ ما يرشده في آقان اللفظ ، بل من نفسه يتقنه كاحتجابه لميزته من هذه الناحية عن كافة احرف العالم . او لو اراد المحيط الواحد او الدولة الواحدة تعميمه فيها مثلاً ، قد يمكنها ارجاع ما فسد من لغتها الى اصله مع توالي الايام عن هذا الطريق لا سيما العربية لما في العادة والملكية من التأثير على الانسان في لغته كما عرفنا ذلك في الجاهلية قبل الاسلام ، وكما هي الحالة الراهنة في البلاد الراقية الان هذه التي يكتب عالمها مثلما يقول رغم اختلاط بعضها كما نفعل ولا يخفى ما في ذلك من التسهيل والفوائد العظيمة التي لا تقدر .

ان ما قرأته هو هذا الاصلاح

هكذا يجب ان يكون الحرف لا سيما الحرف الذي يستعمله المغلوبون على امرهم الذين تحفزون للهضة بعض قفلتهم وبعد ان لقوا من الامر ما لقوا كاستعملي هذا الحرف الذين اتقدم اليهم بهذا الاصلاح .

ولحرفي هذا او اصلاحي الذي اتقدم به الى القادة الكرام واولياء الامر هو ذات الحرف الذي اصفه بل ذات الثوب الذي حصته لهذا الشرق لغاية في النفس كما سيعلمون .

هذا الذي بدأت به منذ ان حطت الحرب اوزارها وتبدل وجه هذا الشرق ، يوم انصرفت الانفس الى اعمالها جادة في طلب استقلالها وانصرفت انا حينذاك الى العمل في الاساس قبل البناء والى تعميم الطرق قبل السير والسباق مندفعاً بما اندفعوا به من الواجب حتى كان لهم ما ارادوا وكان لي ما اريد .

ولتجدن مع كل هذا من يخالفك في رأيك وينقض عليك عملك لا كرهاً في الاصلاح وانما لاختلاف الانسان عن الانسان رأياً في وجوب الاصلاح او عدمه او قل في شكل الاصلاح ، لا سيما وهذا الاصلاح الذي اذكره لهم هو اكثر مما يتصوره المصلحون ، هو اصلاح في تكوين الحرف اكثر مما هو في الشكل او التقييد ، فكأنما نقضت بعض تركيب الحرف الحاضر واصلحت خلله ، ومن ثم نسقته كما يجب ان يكون دون ان المس الشكل كثيراً . اصلحته كما يصلح المجدد الذي يزيد في قيمة الشيء تحسباً فتزداد قيمته ، لا كما يصلح المصلح الذي يرجع الشيء الى اصله اذا كان الاصل غير قويم . فالسيارة اليوم مثلاً هي غيرها حين ظهرت الى حيز الوجود وكذلك كل عمل حديث قائم على اساس قديم هو اليوم خير منه في الامس ، الا هذا الحرف القديم الذي ما زال هو هو من حيث تنسيقه او تركيبه المغلوط . فالمصلحون اكثرهم بل جميعهم لا يرون في اصلاح الحرف هذا الا تقييده لفظاً وتحسينه شكلاً كما هي الحالة في حرف اللاتين مثلاً في حين ان حرف اللاتين ذاته هو في حاجة الاصلاح من هذه الناحية التي نريدها لانه والعربي هذا فرعان مجتمعان في الاصل الفينيقي القديم ولم يتغيرا تنسيقاً عن اصلهما قط ، رغم اننا نحن بحاجة الى حرف اسهل من حرف اللاتين نظراً لناخرينا عن الغربيين كثيراً كما يعلم الاديب وهذا لا يكون الا باصلاح الحرف في تكوينه .

الدليل القاطع على صعوبة الحرف الحاضر

واي دليل لنا اعظم من الامية هذه المنتشرة في العالم منذ آلاف السنين على سوء تنسيق الحرف هذا او تشويش عرفانه او فهمه على الانسان مع حاجته الشديدة اليه ؟ لا دليل اعظم من هذاهما قيل عن تأخر النهضات او تأخر الاعم نسبة الى اهمية القلم ولزومه للانسان منذ القدم . وانما تركيبه المغلوط او عدم تنسيقه وتسهيله كان السبب الاوحد في ذلك مع امكان اصلاحه لا سيما العربي هذا الذي لم يدعم حتى في بناءه علاوة عما نطلب فيه .

اهمية الاصلاح في التكوين لا في الشكل والتقييد

على ان الكتابة قديماً في المدينة الاولى وان تقلبت ادواؤاً كثيرة اثر نشأتها وتبدل شكلها كثيراً ، غير ان العبرة كلها كانت في تبدلها من الرسم الى الهجاء او المقطع اكثر مما هي في شكلها كما ستري وهذا الاصلاح في تكوين الحرف لا في شكله كما جاء به المتأخرون .

فالفنقيون الذين ينسب اليهم هذا الحرف الذي ما زلنا على تنسيقهم فيه هم لم ينجحوا في عملهم حينذاك الا بتفريق المقطع الواحد الى حرفين حيث تدانت حروفه بعد ان كانت تعد بالملآت الى هذا العدد الذي نعرفه ، وبتهيئتهم رسم الحرف ايضاً بدلا من التصوير من جهة ثانية . وانما لم يصل الفنقيون بعملهم هذا الى حد الكمال الذي يتطلبه الانسان للاسباب التي ذكرت كما مر بك . وان من اخذه عنهم من الاعم لم يتعدوا هذه الاصول التي وضعها الفنقيون ، هذه الاصول التي نعمل لاصلاحها وتسهيلها ونمهد اليها في هذا الكلام .

واما ان الحرف هذا لم يسهل او ينسق كما يجب ان يكون مع مرور الاف السنين عليه فذلك لان الانسان مقيد بالزمان شأنه في كل اعماله من جهة ولاسباب اخرى سنذكرها في محلها بعد ان نذكر الحرف في تطوره من الرسم الى الهجاء ومن المقاطع الى الاحرف ، ليقنع القاري الكريم

بوجوب اصلاحه ايضاً في الاساس طالما الاساس في حاجة الى الاصلاح .
فلنفقش اذاً عن الحرف في المدينة الاولى التي تطور فيها من الرمز الى
الهجاء قبل ان يدركه الفنيقيون الذين شقوا المقطع منه الى حرفين وظلنا
نحن والغربيون حيث انتهوا اليه منذ آلاف السنين فاقول :

المدينة الاولى في مصر وبابل وكلمة في الحرف

الانسان ظل زائل في هذه الحياة لو لم يخلد القلم ذكره في الارض كما
يخلد الله روحه في السماء فهو لسانه الناطق الذي لا يموت بموته ومرآت
عقله وعلمه حتى الابد . ولو قدر للانسان الاول استعماله كما هو اليوم وقدر
لمن خلفه ان يشيد بناءه على اساسه ، لكان وجه الحياة اجمل مما نراه ،
ولكان الانسان اعلى مرتبة واسمى خلقاً بلا ريب .

احرف الهجاء لهي الوحيدة التي يعتمد الانسان عليها في حياته وبعد مماته
وفي كل ما يصبو اليه . رغم انها هي التي كادت تجمع له حياة الاولين
والآخرين وتحيطه علماء بمعارفهم اجمعين وتجعل منه انساناً سعيداً كانه عاش
الدهر بكامله واحاط منه في كل شيء علماً .

فالانسان في حياته القصيرة هذه لو لم يوفق الى احرف الهجاء منذ القديم
لما تقدم في علمه او عقله شيئاً يذكر ولا استطعنا ان نقيسه ببعض الاحياء من
هذه الناحية ، وانما استماتته بجهود سلفه وعلومهم على مائة من فطرة طبيعية الى
ذلك ، هي التي مكنته من جمع ثروته العلمية العظيمة هذه ، وجعلت له هذه
المرتبة الرفيعة في حياته . وهكذا لو لم يؤسس الاخير على بناء الاول لما
تطور في حياته تطوراً يذكر ، ولما تطور الانسان الاخير هذا بسرعة نسبة
الى سلفه ، لو لم ينتشر الحرف بانتشار الطباعة وتتغذى الافكار بعضها من
بعض ، بانتشاره ، وهذا اكبر دليل على ان الحياة الفردية لا يمكنها التطور
والارتقاء ، اذا لم تستمد من بعضها على توالي الايام ولا معين لها في ذلك كله
الا بما تحفظه احرف الهجاء .

فالانسان باشد الحاجة الى بعضه في رأيه وبقدر ذلك تكون نتيجة اعماله وجهوده ويكون تطوره وارتقاءه وهذا مما لا رب فيه والاساس في كل ذلك هي احرف الهجاء . خذ مثلاً على ذلك من تقدم الانسان الحاضر وارتقائه في مخترعاته وعجزه من جهة ثانية عن اتيان ما اتاه الاولون في كثير من اعمالهم وذلك لانه لم يعثر على ما اوجده الاولون من المخترعات ولم يوفق هو ايضاً الى ايجاد ما يقوم مقامها رغم جده واجتهاده وما بلغ اليه من الرقي . هذه بعض آثارهم الخالدة بجلالها الضخمة هذه التي نراها قائمة بعضها فوق بعض كأنها البناء الحديث هذه مومياؤهم التي ارتنا وجوها كأنها فقدت انفاسها منذ برهة او كأنها لم تدفن قط على انها منذ آلاف السنين وحسبك ما تفقد آلاف السنين مما اتاه الاولون .

كل هذا دليل على افتقار الاراء الى بعضها وعلى ان التطور يشترط فيه الاتصال ، مهما تقدم الانسان في آرائه ونضج ولا سبيل الى ذلك الا عن سبيل الحرف . فافضلية القلم على سائر ما اوجده الانسان منذ القديم او ما سيجده في المستقبل هي حقيقة لا ريب فيها ولا جدال ، مهما اختلف الانسان عن الانسان في رأيه وابتعد عنه في معظم الاشياء . فبرى الاديب ان الاولين لو استطاعوا تسهيل الحرف وتعميمه واجهوا الطباعة مثلاً كما هي الحالة في هذا العصر ، لما استطاع الدهر ان يطمس شيئاً من اخبارهم ولكان عصرنا هذا اعظم مما يراه كثيراً وانسانه اقرب الى الحقيقة منه الى ما يعرفه ، فالتأخرون وانهم يتصلوا بالاولين اتصالهم بالتأخرين منهم من هذه الناحية غير انهم لم يصلوا الى ما وصلوا اليه لو لم يؤسسوا على بنائهم ويتدرجوا على طريقهم مع توالي السنين الطوال الطوال ، وهكذا ستكون الاعصر الآتية بلا شك وانما بخطى اوسع كثيراً نسبة لما مضى والفضل في معظم ذلك للقلم كما يعلم الاديب ولسوف يظل الفضل له حتى الابد . ولو لم يكن للقلم الا حفظه اخبار الاولين وحدها ، لوجب علينا تعزيره وتسهيله ، فقرأ به اخبارهم وتاريخه بعد هذا الكلام واسعى الى ايضاح تاريخك بتعزيه .

المدينة الاولى

قديمًا قبل ان تفارق الشرق شمسها ، ويخرج الغرب من غياهب امسها ، كانت تدرس في وادي النيل والفرات ، العلوم من طب وتاريخ ودين وادب وينظم الشعر اثر النصر في الحروب ، وذلك قبل ان يكون هنالك غرب واختصاص ، وانما هو داء العالم العضال منذ الازل ، هذا الداء الذي لا يبرء منه ولا شفاء الا اذا مائل الانسان الانسان سموأ في الخلق ورفعته في الادب ، او عادله قوة في الحياة .

ثانك مدينتان في الشرق قديمتان قرأ انسانهما الاول وكتب قبل ان يشيد (خوفو ١٠) هرمه ، ويسن (حمورابي ٢) شريعته ، وقبل ان تعقبها مدينتان اخرى في الجزيرة والشام ، وفارس واليونان ، والهند والصين ، وقبل ان تتولى فنيقية ملكية البحار شؤون العالم في نشر المدنية التي يبتدي منها التاريخ .

آثارها الخالدة

وهذه الآثار الخالدة من حفر وبناء وصناعة وهندسة ، بل هذه المعجزات الحافظة لنا بعض ما اتصلوا اليه والخالدة لنا عظمة اعمالهم ، لمي

١) خوفو هو عظيم السلالة الرابعة التي حكمت من (٣٧٠٠ - ٣٥٥٠) قبل الميلاد وكذلك هرمه هو اعظم الاهرام فيبلغ علوه (٤٥٠) قدما وقاعدته ثلاثة عشر فدانا انكليزيا اي نحو (٦٤٥٠) ذواعا مربعا روي عن خوفو هذا بانه اشغل في بنائه مئة الف عامل مدة عشرين سنة عن « ماير » .

٢) حمورابي هو سادس ملوك الدولة الارامية في بابل جاء في سنة (٢٢٥٠) قبل الميلاد وحمورابي هذا هو صاحب الشريعة التي اكتشفها الافرنسيون سنة ١٩٠١ في سوسا احدى مدن عيلام القديمة مكتوبة بالحرف السامري وكان لاكتشافها دوي هائل في اوربا وهي اقدم شريعة في العالم عرفت حتى الان .

اكبر برهان على ازالة هذا الشرق الجبار وعلى ان شمس انبعثت من النيل والفرات قبل ان يمتد نورها الى سائر الجهات الا اذا كان تحت الجزيرة ما تحتها وذلك ما سوف تكشفه الايام الى من في الاصلاب .

كتابتهم

وهذه الصور البادية على تلك الآثار منذ القدم ، ما زالت مبعثاً للشك في اصلها وحقيقة الاولين حتى اذاح التنقيب عن فيها اللثام ، فنطقت باخبار القرون الاولى ، وما ادراك ما القرون الاولى ، مدنية منذ آلاف السنين لم يستطع الدهر ان يطمس اخبارها وغم ما تبدل وما طوى . ولتلك التي فرقت ما بين الشك واليقين فكانت كتاباتهم التي فيها يدونون والسنتهم التي ما زالوا بها ينطقون (١)

هذه لمحة عن المدنية الاولى التي لا محل لها في بحثنا هذا لاذكرها كما فعلت لو لا اني اريد ان استدرج الحرف من مهده الاول ليطلع القاري الكريم الذي سنحتكم اليه اخيراً في هذا الكلام على كل تطورات منذ ابتدائه حتى اليوم فاقول :

الكتابة الاولى

الكتابة الاولى التي وضعها الانسان الاول ليستعين بها على حاجاته كما قل في هذه الحياة ما زالت حقيقة مجهولة وانما العقل تصورها وتصور الانسان الاول من هذه الناحية لا سيما بعد ان عسر المنقبون او الاثريون على كثير من هذه الكتابة الصورية التي حل غموضها اخيراً ، هذه التي ادرك منها الاثريون بان الكتابة الاولى صورية لا علاقة لها بالهجاء قبل ان

(١) اكتشف الكتابة المصرية القديمة شامليون في دخول نابليون بوناپرت مصر سنة ١٧٩٨ وذلك انه وجد مكتوبا على الحجر الرشيدي الموجود الان في المتحف البريطاني باللغتين المصرية واليونانية وبحرفيهما وبانواع الخطوط المصرية الثلاثة . والحرف اليوناني هو الذي ساعده على قراءة الحرف القديم وانما لعبرة تذكر .

تصل الى دورها الذي اكتشفوه ، وصورية بسيطة في المرحلة الاولى تدرج بها الانسان القديم قبل ان تقاب ادواراً كثيرة او قبل ان ترتقي الكتابة الى دورها « الصوري الرمزي » الذي ما زال الانسان يستعمله حتى الان من قبيل الالغاز وحل الرموز . وتأكد ذلك ايضاً من حال الانسان الذي ما زال الجهل ملازماً له في غاباته وصحرائه في سائر الاقطار ، هذا الذي ما زال يكتب بالصور الرمزية حتى الان .

وعلى هذا قسموا الكتابة الى دورين صوريين لا علاقة لهما بالهجاء ، والى دورين بعد ذلك « صوري هجائي فهجائي حرفي » وهو هذا الاخير الذي نكتب فيه .

« المرحلة الاولى والثانية او الدور المادي (١) والدور الرمزي (٢) »

فالانسان الاول صور في المرحلة الاولى ما يريد ويقصده ، والصور واحدة لا تختلف في الائم . فكان اذا وضع الانسان صورة اسد مثلاً فكأنما اشار بذلك الى الاسد نفسه ولم يتعداه الى المعنى الذي يحتاجه في نفسه . ولا يخفى كم بهذا الدور من العجز الذي لم يلبث الانسان الثابة عليه طويلاً حتى توسع في وضع دلائل اخرى واشارات ترمز عن المعاني التي لا اجرام لها فترسم كالخوف والشجاعة والحب والبغض وما اشبه ذلك .

فهذا هو الدور الرمزي الذي اختلف فيه الانسان عن الانسان قليلاً في كتاباته لاختلاف الاقاليم والعادات . فكان اذا عبر ابن النيل عن الشجاعة بالاسد مثلاً فلا يمنع ذلك ابن الفرات ان يعبر عنها بغيره من الحيوانات المفترسة او القوية مثلاً .

ولهذا ابتدأ الاختلاف قليلاً بينهما في الكتابة الرمزية . وكانت كتاباتهم هذه عبارة عن صور واشارات يدل بعضها عليها وبعضها على ملزوماتها من المعاني المصطلح عليها في كل امة من هاتين الامتين القديمتين .

(١) الدور المادي هو رسم المسادة عيماً من اي نوع كانت . (٢) الدور الرمزي هو الرمز الى الشيء باشارات مصطلح عليها .

فالانسان الاول الذي اوجد الكتابة قبل ان يعهدها كان كالا عجمي الذي يستعمل الاشارة بدلا من الكلام في قضاء حوائجه لتعذر ذلك عليه ، وهذه طبيعة غريزية في الانسان يلجأ اليها لدى الحاجة ليستعين بها على بيان ما يريد من القول . وما زالت هذه الوراثة في الكتابة الصورية موجودة بين بعض ابناء الصحاري وهنود اميركا ومن شاكلهم حتى اليوم .

المرحلة الثالثة او الدور الصوري المقطعي

واما الكتابة التي وضعها الانسان في المرحلة الثالثة واعني بها الدور المقطعي الصوري فهي مغايرة لما سبقها من الكتابة كثيراً لتمثيلها المادة لفة لا رسماً . وهي خطوة واسعة الى الامام سجل بها الانسان الاول اعظم ادواره التاريخية الجيدة . فكانه عكس رسم المادة على لسانه واستعان باسمها عن رسمها او ارمز اليها . وذلك لانه مثل بها الاصماء دون الاجسام او الصفات فكانت من اللغة كالهيكل لها ، لان اللغة كما لا يخفى هي مجموعة كل ما في الكون من مادة ومعنى ، او هي كل ما يشعر به الانسان باحدى حواسه ، او كل ما يجري على لسانه من قول لا رسم له . فكانما الانسان اوجد لنفسه تمثيلاً افرغ فيه روحه ليحفظها الى ما شاء الله .

وقد ابتعدت الكتابة من بعضها شكلاً في هذه المرحلة التي مثلت السمع دون البصر ، وخرجت البابلية من دورها الصوري الى اشارات اشبه بالمسامير منها بالصور القديمة ، فبلغت المقاطع بالاشارات بضع مئات من الاشكال في بابل حيث اختلف المؤرخون في تصور هذا الدور كما هو ، وفي الحقيقة كل قديم مجهول . فمنهم من توهم الاشارة صوتاً وعدها حركة في الحرف البابلي مثلاً كما يتوهم بعضهم الان بان الاحرف الصينية المتراوحة بين عشرات الالوف كلمات لا احرفاً ومقاطعاً لوفرة عديدها والى غير ذلك .

والواقع هو ان الانسان للقديم قسم الكلمة الى احرف ومقاطع في مصر وبابل ولم يستعمل الحركة ، والى احرف ومقاطع وحركة في الصين وحدها وما زالت كذلك فيها حتى الان .

والدليل على ذلك هو انه لو استعملت الحركة في هاتين الامتين كما استعملت في الصين لكانتا مثلها وهذا لم يكن وتفصيل ذلك في الهامش فانظر اليه : (١)

(١) المقطع هو الهجاء الواحد من الكلمة وهو نوعان احدهما متحرك مستقل لا يليه حرف ساكن مثل ب ، غ ، ف ، وغيرها من الاحرف حيث يلفظ كل حرف بحركة مستقلا عن كل حرف يليه . والآخر حرف متحرك وانما يليه حرف ساكن فيشكلان كلاهما مقطعا واحداً مثل مع عم عم الح .. وذلك لان الحرف الساكن لا يلفظ الا مع حرف متحرك آخر اذا فكل مقطع يقع في الكلمة اما ان يكون حرفا متحركا مستقلا وهذا لا يزيد عدده عن احرف الهجاء التي هو منها ، واما ان يكون مقطعا من حرفين يقع احدهما ساكناً وهذا عدده يبلغ مربع عدد الاحرف . فالمقاطع في الامة البابلية التي كانت تتراوح بين ٤٠٠ — ٥٠٠ ، مقطعا كما اكتشفت كيف حصلت ؟ الجواب :

نفرض بان الاحرف في بابل كانت ٢٢ حرفا كما كانت في الفينيقيين فيما بعد فبكل حرف منها متى وقع ساكناً يحتاج الى حرف متحرك يليه ليمثل المقطع لفظاً كما ذكر فكأنما ضربنا $22 \times 22 = 484$ ومن ثم نضم الحاصل هذا الى عدد الاحرف المستقلة التي هي مقاطعاً ايضاً وعددها ٢٢ فيكون المجموع (٥٠٦) مقطعا وهو ما يزيد عن نصف الالف . وعلى هذا القياس كانت المقاطع في المدنية الاولى حتى في الصين .

وانما الصينيون قد استعملوا الحركة لتمييز كلماتهم وادخلوها في مقاطعهم . واذا فرضنا لهم احرف بابل وفرضنا لهم اربع حركات فقط لاحتجنا الى ضربها بعدد الاحرف اي ($4 \times 22 = 88$) والحاصل هذا نضربه بالحاصل الذي مر اولاً اي ($88 \times 484 = 42592$) ومن ثم نجمع اليه الحاصل الاول ٨٨ فيكون (٤٢٦٨٠) وهو الحاصل الاخير ولو فرضنا لهم خمس حركات بدلا من الاربع لكان الحاصل (٥٣٣٥٠) وهذا العدد

فالإنسان القديم في دوره هذا ، وإن قيد بالهجاء أو المقاطع الكثيرة كما رأيت وإنما كان في نعمة كبرى نسبة إلى من سبقه من الأولين لأنه استطاع أن يعبر عن افكاره بلغة ظاهرة واضحة ، لا بالغاز غامضة يحتاج معها إلى التفكير شأن الأولين ، فهو وإن كثرت مقاطعه من جهة وإنما كانت محصية بخلاف الإشارة التي لا تحصى . ولهذا اكبر تحوير حصل للقلم في تاريخ الإنسان بانتقاله من الرسم إلى اللغة لو لا تباعد اللغات من بعضها بمعكس الإشارة التي يشترك فيها الإنسان ، ولكن لا بد من يوم سوف يأتي فيشترك فيه العالم من اقضاء إلى اقضاء بلغة واحدة أو لغتين أو لغات قليلة يحدتها هذه الغابة وحدها فتكون مكان الإشارة منه وإنما بعد أن يبلغ الإنسان حد الكمال بدافع الحياة .

المرحلة الرابعة أو الدور الحرفي

وفي المرحلة الرابعة الكبيرة هذه قد انفصل المقطع (١) إلى حرفين واستعويض بما هو دون الثلاثين من الأحرف بدل المئات من المقاطع ، وكانت مصر هي الأسبق إليها من بابل التي ادركتها الأحرف الفينيقية قبل اجتيازها هذه المرحلة . ولأن بقي الحرف في مصر بشكل صوري كما كان في السابق غير أن هنالك نوع آخر كان أقرب إلى شبه الصووة منه إلى أصلها تسهيلا للبد (٢) وصور هذه المرحلة الأخيرة ، التي كانت

الذي تجاوز التحسين الفأ حصل عن هذا الطريق كما رأيت وليس هناك أكثر من هذا لا كما يظنها المستقربون .

فالواقع هو هذا لا أن أحرف الصينيين كانت ، وإنما لغة المفلول مقطعية لا فرق فيها بين الاسم والفعل والحرف بخلاف لغات الساميين أو الآريين وخلافهم كما يعلم الأديب .

(١) بانفصال الحرف الساكن من المتحرك تداني عدد الحروف من المئات إلى العشرات كما سترى في الحرف الفينقي .

(٢) كان يستعمل في مصر الحرف الهبروغاني للكتابة المقدسة فقط وكان

خاتمة الحرف المصري هي هذه الظاهرة على كثير من الآثار الخالدة في مصر حتى الان هذه المعروفة بالاحرف الهيروغليفية التي كانت ما قبل التاريخ . ونحن الان في هذه المرحلة الاخيرة ، او في هذا الدور الحرفي الذي كان للفنيين شأنهم الكبير في نشره وهو مما سنعود اليه بعد ان نقول كلمة في الاولين تيمناً لبحثنا بوجوب الاصلاح في اساس الحرف .

وهذه قطعة مأخوذة عن تاريخ الادب الحففي بك ناصف تظهر فيها الحروف المصرية الثلاثة والحرف الفنيقي . فن اليمين الى اليسار الحرف (١) المصري المقدس ، (٢) فالحرف المصري للخاصة ، فالحرف (٣) المصري للعامة ، (٤) فالحرف الفنيقي ، (٥) فاسماء فنيقية تشبه مسياتها الاصلية اشكال الحروف ، بلغة الفنيقيين (٦) .

للخاصة حرف آخر اطلقوا عليه « الهيراطيقي » كان يستعمل في دواوين الدولة وبين خاصتها ، وكان للعامة ايضاً حرفهم « الديموطيقي » وهو ابسط تلك الاصناف شكلاً . وقد ذهب بعض الاثرين بان الاحرف الفينيقية مأخوذة بعضها من الاحرف المصرية وقد يجوز ان يكون بعكس ذلك لانه لم يثبت استعمالها في مصر قبل القرن الخامس كما يقول (ماير) بين ان الحرف الفنيقي هو قبل ذلك بكثير . وقد ظهر اخيراً بالتعقيب ما يؤيد ذلك في « جيبل » لبنان اذ عثر على كتابة بالحرف الفنيقي يرجع تاريخها الى القرن الثالث عشر قبل الميلاد .

三

	(١)	(٢)	(٣)	(٤)	(٥)
ا	𐎠	𐎡	𐎢	𐎣	𐎤
ب	𐎥	𐎦	𐎧	𐎨	𐎩
ج	𐎪	𐎫	𐎬	𐎭	𐎮
د	𐎯	𐎰	𐎱	𐎲	𐎳
هـ	𐎴	𐎵	𐎶	𐎷	𐎸
و	𐎹	𐎺	𐎻	𐎼	𐎽
ز	𐎾	𐎿	𐏀	𐏁	𐏂
ح	𐏃	𐏄	𐏅	𐏆	𐏇
ط	𐏈	𐏉	𐏊	𐏋	𐏌
ي	𐏍	𐏎	𐏏	𐏐	𐏑
ك	𐏒	𐏓	𐏔	𐏕	𐏖
ل	𐏗	𐏘	𐏙	𐏚	𐏛
م	𐏜	𐏝	𐏞	𐏟	𐏠
ن	𐏡	𐏢	𐏣	𐏤	𐏥
س	𐏦	𐏧	𐏨	𐏩	𐏪
ع	𐏫	𐏬	𐏭	𐏮	𐏯
ف	𐏰	𐏱	𐏲	𐏳	𐏴
ص	𐏵	𐏶	𐏷	𐏸	𐏹
ق	𐏺	𐏻	𐏼	𐏽	𐏾
ر	𐏿	𐐀	𐐁	𐐂	𐐃
نیر	𐐄	𐐅	𐐆	𐐇	𐐈
ت	𐐉	𐐊	𐐋	𐐌	𐐍

كلمة في الممرية الاولى

فالاولون كادوا ان يكونوا لبعدهم الباعد منا كالكواكب الثابتة عنا في هذا الفضاء الواسع . هذه الكواكب التي لا تزن منها الا نوراً ضئيلاً ورغم تطلع الراصدين اليها واجتهادهم في معرفة ما يجهلونه منها ، وكذلك نحن مهما تصورنا الاولين وتطلعنا اليهم مما بقي من اثارهم لمعرفة شئونهم فاننا لن ندرك كل ما كانوا عليه بالتحقيق لابتلاع هذه الارض كثيراً منها ولتحول اكثرها الى تراب مثلما تحول وجه الارض عما كان عليه . ولعل هذه النجوم الثابتة عنا في هذا الفضاء الامتثالي سوف نعرف عنها في مستقبل الايام اكثر مما سنعرفه عن حقيقة الاولين لزوال كثير من آثارهم كما ذكرنا وبقائها ساجدة في هذا الفضاء الى ما شاء الله . ومع هذا لا بد من يوم سوف يعرف فيه الانسان الاول اكثر مما عرف عنه حتى الان ، ورغم ما ضاع من آثاره الكثيرة في طيات السنين ، وسيكون اعظم مما نتصوره حتى الان على ما اعتقد ، وهذا ما نتركه في بطون الايام الى جانب ما فيها من اسرار .

ورغمًا عن هذا نستطيع ان نحكم بما بقي من اثار الاولين . وبما عثرنا عليه من كتاباتهم ، بانهم كادوا ان يكونوا كابناء اليوم حضارة ومدنية لو لم نمتاز عنهم في بعضها ، وانما لا يمكننا تصورهم تصور من جاء بعدهم لنقول في احرفهم وتطورها ما نقوله باحرف الآخرين رغم ان الحرف الحاضر لا صلة له بحرفهم لو لا اننا نريد ان نذكر تطور الحرف في اساسه وتقبلهم ذلك من جهة ولانهم هم الذين اوجدوا المدنية الاولى من جهة ثانية . اولئك الذين عاشوا قبلنا تحت هذه السماء وشربوا النيل والفرات وتغذوا من ارضها كما نتغذى نحن الان . وانما كانوا غيرنا في زمانهم من حيث العظمة والسؤدد قبل ان تتسكر لهم الايام اخيراً وينازعهم في السيادة من هو دونهم في العروة والقدم .

اجل هو ذلك الرجل الشرقي الذي ما زال كانه ينكر السيادة على غيره

وكأنني به وقد شعر بانتقالها أو التنازع عليها فهب من مرقدته يتطلع من هرمه وبرجيه إلى خلفه ليرى أي الرجلين هو، ويقول له إن السيادة حقها الموروثة تأتيها له على إهماله هذا الذي لا يرضاه .

فالإنسان الأول الذي تطاول إلى معرفة النجم فرصدته وقسم أوقاته وأيامه بعد ذلك وحددا أيام سنته كما هي الحالة اليوم وتنبأ بالكسوف والخسوف ووضع الشرائع والقوانين والموازين والمكاييل وكثيرا من الأسس التي ما زلنا نعمل بها حتى اليوم ، والذي أوجد أحرف الهجاء هذه من العدم هذه التي قلبت أدوارا كثيرة في شكلها وهجائها لم يتردد في أخذ ما هو أصح له منها مما وصل إليه بدلا مما كان له واستعمله آلاف السنين مع ما كان عليه من الرقي كما رأيت .

فهذه المقاطع في بابل دولة هذا الشرق قديما قد مر عليها ما ينف عن أربعة آلاف من السنين دون أن يتبدل نظامها حتى أدركتها أحرف الفينيقيين هذه فتبدلت في حين أن مقاطعها أو حروفها حينذاك تبدلت أشكالا كثيرة في خلال تلك الأعصر كما تبدل هذا الحرف وغيره في شكله دون نسقه واليك هذا الرسم فانظر إليه : فتجدن التطور ظاهر شكلا في كل كلمة كما نرى وتفسيرها مترجم في الانكليزية

٥٥٠ ق م ٧٠٠ ق م ٢٥٠٠ ق م ٤٥٠٠ ق م

MEANING		OUTLINE CHARACTER, B. C. 4500	ARCHAIC CUNEIFORM, B. C. 2500	ASSYRIAN, B. C. 700	LATE BABYLONIAN B. C. 500
1.	The sun				
2.	God, heaven				
3.	Mountain				
4.	Man				
5.	Ox				
6.	Fish				

٢٦

فنعن وان مرت بنا ثلاثة آلاف من السنين دون ان ننظم الحرف كما يجب فقد مر بالبابليين وغيرهم اكثر من هذا الزمن ، ولكنا اولى منا تمسكا بمقاطعهم القديمة تلك ، اذا كان طول الزمن يمنع ذلك ، ولما عملوا بما هو خير منها حين اهتموا اليه شأن الانسان في كل ادواره . فطول الزمن من هذه الناحية لا يمنع الانسان عن الاصلاح حين يهتدي اليه طالما الانسان في كل ادواره يسعى الى انتقاء الاصلح . فالذي اريد قوله او اریده من هذا الكلام هو ان الحرف هذا وان مرت عليه آلاف السنين دون ان ينظم او ينسق كما يجب وانما قد تغير وتبدل في شكله بقصد اصلاحه بعد ان تفرع كثيراً ، وذلك لا لانه لا يحتاج الى اصلاح او تنظيم ، بل لان مستعمليه لم يدركوا عاقبته حينذاك ليصلحوه . وانما اذا قدر له الان من ادراك عاقبته واصلاحه منها مثلاً ، فلا يجب ان ينكر عليه عمله هذا ، بل يجب الثبت من قوله والعمل به اذا كان ما يقوله صحيحاً سواء كان الاصلاح في الاساس او البناء ، والا لوجب علينا ان ننكر على الانسان كل اعماله التي احدثها منذ القديم حتى الان .

واما انه يجب علينا ان نقتدي بالاولين على السواء ، فهنا عمل لا يرضاه العاقل المخلص لقومه ، وانما يجب علينا ان نقتدي بالمصالحين منهم اولئك الذين طلبوا اصلاح هذا الحرف ولم يتفوقوا ، والانسنة بهذه الغفلة التي من دأبها ان تمر بالانسان منذ القدم . وهذا مما سنعود اليه بعد ان نذكر تطور الحرف هذا بقصد اصلاحه بعد ان تفرع من اصله الفنيقي القديم ونذكر علة اختلافه عن بعضه شكلاً وميزة كل من حرف العرب او اللاتين عن بعضهما لهذا السبب ، ليرى القاري الكريم بان الاصلاح وحده هو الضالة المنشودة التي يطلبها الانسان منذ القديم .

قابداً اولاً بالحرف الفنيقي الذي هو اصل كل هذه الفروع ، فاشهرحه وانما قبل ذلك لا بد لي من لمحة عن الفنيقيين من حيث

دولتهم لتدرك اسباب انتشار حرفهم من جهة ، ولتذكر شيئاً من تأثير عملهم تمهيداً الى خروج الغرب من ظلماته وابتداء الكتابة فيه من جهة ثانية فاقول :

الفنيقيون

لان مر الانسان الاول في اعصر مجهولة حتى تجاوزها الى عصرين متتابعين تفاوتاً عن بعضهما عملاً بناموس التطور والارتقاء وهما عصر الحجري فالمعدني ، فمكذا مر ايضاً في اعصر مجهولة حتى تجاوزها الى عصرين متتابعين تفاوتاً عن بعضهما عملاً بناموس التطور والارتقاء وهما عصر المقطعي فالحرفي . وكان الفضل في الثانية لابنة البحار « فنيقية » متدثلاثين قرناً ونيف . تلك الدولة النشيطة التي كانت صلة بين تينك المدينتين القديمتين وبين من قام بعدهما ، وسفيرة ما بينهما وبين سائر العالم في نشر التمدن القديم من حيث هو على سفائن ذهبية صاغتها من ارز لبنان الازلي . تلك هي فنيقية التي وضعت كل ما هو بمثابة الاساس من البناء في تلك الاعصار وذوت بذور المدنية القديمة في البلاد التي كانت خالية منها لا سيما في الغرب الذي اخصب فيه غرسها كثيراً وكان وبالا عليها بعد حين .

فالفنيقيون الذين كانت حصونهم السفائن وعمالهم اوتياذ السواحل في نقل التجارة من سواحل لبنان حتى الاتلانتيك غرباً ومن البحر القلزم حتى المحيط الهندي شرقاً ومن صور حتى مصر ، فالبحجاز ، فاليمن فالعراق فبابل فتدمر برأ . والذين تجاوزت مستعمراتهم نصف الالف منتشرة في جزر المتوسط وفيما يليه من سواحل اسيا وافريقيا واوروبا حتى قادكس في ساحل الاتلانتيك ، لا يستغرب ان ينتشر حرفهم حين ذاك دون سواء في كل هذه البلاد التي تليهم او التي كانوا يرتادونها بتجارهم الواسعة حينذاك .

حرفهم

فالفنيقيون كانوا عنوان الجهد والنشاط في كل اعمالهم واصلاً لكل مدنية

فروع الاحرف الفنية (١)

فالذي نتج من عملهم هذا ان تفرعت حروفهم الى اربعة فروع هي الارامية ، واليونانية ، والحيرية ، والعبرية فمنها ما ائتمروا به ومنها ما ذبل وباد . واما الفرعان الذان ائتمرا وامتدا كثيراً فهما اليوناني الذي طوق الغرب من اقاصه الى اقاصه ، والارامي هذا الذي تغفل في الشرق وتفرع فيه الى فروع كثيرة تختلف عن بعضها اكثر مما تختلف فروع شقيقه في الغرب وهذا مما سيأتي بيانه في محله .

وهذه ثلاثة من فروعه الاول الحرف اليوناني (١) فالسند الحيري (٢) فالارامي . (٣) مبتدأ من اليمين الى اليسار شكل (٤)

(١) لو احصينا امهات الاحرف الموجودة في العالم فينها لا تزيد عن خمس امهات وهي هذه الفنية ، والصيفية ، والمصرية ، والحديثة التي ظهرت في الشام وبادت كما بادت البابلية بعد ظهور الفنية الى حيز الوجود . فالكتابة الموجودة الان في ثلثي العالم تقريباً ترجع الى الحرف الفني هذا والثلث الاخر الى الصينية المستعملة في الشرق الاقصى في الصين واليابان وسائر بلاد المغول .

(۳) تظا

ا
ب
ج
د
هـ
و
ز
ح
ط
ي
ك
ل
م
ن
س
ع
ف
ص
ق
ر
ش
ت

(۱)

А А
В В В
Г Г Г
Д Д Д
Е Е
Ж Ж Ж
И
Й Й
К К
Л Л
М М
Н
О (?)
П
Р
С
Т Т

(۲)

А А
В В
Г
Д Д Д Д
Е
Ж
З
И И
Й Й
К К
Л Л
М М
Н
О О
П
Р
С
Т Т
У
Ф
Х Х

(۳)

А
Б
В
Г
Д
Е
Ж
З
И
Й
К
Л
М
Н
О
П
Р
С
Т
У
Ф
Х
Ц
Ч
Ш
Щ
Ъ
Ы
Ь
Э
Ю
Я

لمحة في الفنيق كواصفين

وهنا لا بد لي من كلمة عن الاصل قبل الدخول في هذين الفرعين الكبيرين او لا بد لي من لمحة عن الفنيق وتشرح الحرف في بدايته لندرك سر الحلل الذي ما زلنا نلحسه في فرعيه هذا حرف العرب وحرف اللاتين فاقول : الحرف اذا شرحناه تشرحاً شاملاً له من حيث هو الفيناء مكوناً من رسم وهو شكله ومن روح وهو لفظه . وذلك لانه نائب عن الانسان في الفته ، او صورة مصغرة عنه فيها . فلماذا يحتاج واضعه الى معرفة في الصناعة او الفن ليحسن شكله ، والى معرفة هي اكثر من معرفة اللغة لتقسيم لفظه ، والى معرفة تامة في علم النفس في كليهما الشكل واللفظ ليستطيع واضعه ان يجعله حرفاً يسهل فهمه على الانسان كما نطلبه نحن الان .

فالفنيقيون سواء كانوا هم واضعي الحرف هذا او ناشريه في الاعمى ، فما خرج هذا الحرف المنسوب اليهم عن انه جاء مختلاً لا يصلح للغاية التي نطلبها نحن الان وهي الشرط الاول في الحرف . فالفنيقيون انما وضعوه ايجاباً لمقتضيات الانسان في تلك الاعصار كما رأيت ليروج سوقه كسلعة نفيسة شأن الفنيقين في كل اعمالهم وتجاراتهم حينذاك . والبرهان على هذا هو انهم لم يراعوا فيه ما يجب مراعاته تسميلاً لفهمه او تعلمه كما ذكرنا ولجاز ان يمكنهم ذلك لو كان غرضهم هذا او كان موقفهم كموقفنا نحن الان . وانما غرضهم دون ذلك شأنهم في زمانهم ذاك ولكل زمان مقتضيات .

وجل ما اتوه الفنيقيون هو انهم سهلوا شكل الحرف رسماً بدلاً مما كان عليه وهجاء حيث استعاضوا بالعشرات عن المئات كما ذكرنا ولربما اخذوا ذلك عن المصريين (١)

فيري القاري الكريم بان الحرف الحاضر هذا ما زال هو ذات الحرف

(١) لم يعرف حتى الان واضع الاحرف الابجدية بالتأكيد وانما ينسب وضعها الى الفنيقين وهو الغالب .

الذي وضعه الفنيقيون لو لا تبدله شكلا عن ذي قبل لا سيما حرف العرب هذا الذي بلا قيد حتى الان . ويعلم بان الفنيقين وان اشتهروا بالصناعة مثلا كما اشتهر المصريون بالرسم والحفر وغير ذلك وانما لم يكن الغرض من وضع الحرف حينئذ لاكثر من انه عمل مفيد كما ذكرنا ، لا لاجل ان يعم نشره فيعم انتشار العلم مثلا او يسهل عرفانه وفهمه كثيرا كما نتطلبه نحن الان . فالحلل الذي نشعر به في الحرف الحاضر جاء في اصله هذا ، منذ ان وضعه الفنيقيون ، ولهذا هو المانع من سهولة التعلم بالسرعة التي يحتاجها الانسان وما زال كذلك حتى الان رغم تطوراته الكثيرة سواء كان ذلك في فرعه العربي هذا او اللاتيني لو لا ان الثاني كان حظه اكثر من الاول لتداركه بالتقييد السهل هذا الذي يعمل به الغربيون .

واليت تطوره في فرعيه هذين الكبيرين « الارامي والرومي » اثباتا لقولنا بان لم يتغير فيه شيء من حيث اصوله القديمة وانما تغير شكله وبما اضيف اليه من الاحرف والاشارات لاجل ضبط اللفظ فقط . فابداً اولاً بحرف الارام الذي تفرع منه حرف العرب هذا رغم انه لا يهمننا منه الا فرعه الاخير هذا اي حرف العرب لو لا اننا نريد ان نظهر للقاري الكريم بان الحرف الفنيقي ما زال هو هو من حيث تنظيمه وتنسيقه منذ الاف السنين رغم تبدله الكثير الظاهر في شكله وانما قبل ذلك لا بد لي من لمحة عن الارام انساب العرب القدماء اولئك الذين ما زلنا على سنتهم في احوال الحرف بلا قيد حتى آلت لغة العرب الى ما هي عليه الان فاقول :

لمحة في الارام ومن سبق الارام في وادي الفرات

يقول ابن خلدون العرب فرعان يجتمعان في سام فتقول لاوز بن سام ومنه المالقة وارم بن سام ومنه البائدة . وقد كان يقال ماد ارم ولما هلكوا قيل لمن بعدهم نمود ارم ، ولما هلكوا قيل لمن بعدهم سائر ولد ارم ارمان .

واجمع مؤرخو العرب بان العماقة من نسل اوذ بن سام وهم الذين ملكوا العراق وبابل ثم نزحوا منها الى الجزيرة . وهذا القول لا يغير ما اكتشفه العلم الحديث بعد الحفر والتنقيب .

فسهول ما بين النهرين قديماً اي منذ سبعين قرناً ونيف كانت حكوماتها اقرب الى الاقطاع منها الى الدول تفصل بينها الجداول المشتقة من الدجلة والفرات . وكانت كل اماره تدعى باسم هيكلها الذي لا بد منه في كل اماره منها .

وهكذا حتى اقبلت اخيراً الى السومريين (١) الذين استولوا على قسمي الجزيرة الشمالي والجنوبي وفتحوا ما حواليهما من المدن والامارات واوجدوا حضارة عظيمة حينذاك . وهؤلاء هم الذين تغلب عليهم الساميون او الارام واخذوا عنهم الحرف الساموي الذي دون به حمورابي شريعته كما مر بك .

فالساميون او الارام احتلوا القسم الشمالي من الجزيرة اولا ومن ثم الجنوبي واسس فيما بعد سرجون (٢) دولة عظيمة بلغت حدودها البحر المتوسط في القرن الرابعين قبل الميلاد . ومن ثم ضعف السومريون نهائياً واضمحلوا اسس ساموابي اي ابن سام الدولة البابلية السامية في القرن الخامس والعشرين قبل الميلاد ، تلك الدولة التي يتحدر منها حمورابي صاحب الشريعة الاولى كما مر بالاديب .

ولهذا الملك العظيم هو الذي تغلب على العلاميين اعداءهم الالاء واستولى على بلاد تبدأ من بحر الخزر خيال القفاس فبحر الاسود شمالاً ، خيال طورس فالبحر المتوسط حتى مصب النيل غرباً ، فبحر القلزم

(١) السومريون نسبة الى كورة وهم قوم غرباء لم يعرفوا حتي الان وهم يختلفون عن الساميين شكلاً كما ظهر ذلك في الرسوم التي ظهرت بالتنقيب .

(٢) يؤيد هذا حفر على بعض العواميد في السوس .

فاعالي اليمن حتى عمان جنوباً ، فبلاد فارس فخليج البصرة حتى اصفهان شرقاً
وعد مؤسس الدولة السامية الارامية الكبرى .

واخيراً اضمحت هذه الدولة وقامت محلها دولة اخرى ثم عادت وهكذا
شأن تلك الاعصار . واخيراً استقلت آشور وبابل في القرن التاسع قبل
الميلاد بعد ان قضى عليها كسرى في القرن السادس قضاء مبرماً لا قيام كان
بعده وكانت الغلبة للعلايين اخيراً بعد ان تناوب الارام على عرش العراق
اعصراً طوال .

فالساميون هؤلاء الذين نزلوا بادية الشام ، ومن ثم اسسوا دولة كما رأيت
هم الارام او الارام منهم غير انه ظل قسم كبير منهم في البادية غربي الفرات
كما يقال تستعين به الدولة لدى الحاجة اليه على اعدائها وامتاز هؤلاء عن
المتحضرين الذين تولوا الملك باسم اهل الغرب غمور ومن ثم غربي ومن
ثم اطلق عليهم عربي واخيراً عرب واختلفت لغتهم عن المتحضرين بتوالي
الاعوام كما تختلف لغة البدو عن المتحضرين الان في الشام او العراق
وسائر البلاد .

هذه هي الارام في العراق ونحن لم نبحث في غير العراقي عن الارام في
حين ان الارام ليسوا هم في العراق وحسب كما يعلم ذلك الاديب وانما
بحسبنا لا يسمح لنا باكثر من ذلك لتقييدنا ببحث الحرف وحده هذا الذي
سنرجع اليه ونفرعه .

«تفرع حرف الفنيق في الشرق (١) وكلمة في انتشار حرف الارام»
من المعلوم بان الاقلام او الاحرف تابعة للغات في انتشارها وتفرعها
وتطورها كما ان اللغات تابعة في انتشارها لتأثير الناطقين بها لا سيما الفاتحين
منهم . هذا من جهة ومن جهة ثانية ، كما ان اللغات تنتشر في الامم بانتشار
سلطان الناطقين بها ، فكذلك تضعف او تزول بزوال الناطقين بها او
زوال سلطانهم . وانما الاحرف التي تنتشر معها لا تزول معها بزوالها او
زوال سلطان اصحابها بل تفرع او تتطور ايجابا للغات كما تفرع وتتطور
ايجابا لما يحدث من اللغات او يشتق منها .

ومن هنا حصل التفرع والتطور في الاحرف جميعها ، هذا التطور
الذي نشاهده في الاحرف الشرقية او الغربية . وذلك لان اختلاط الامم
في بعضها لا بد له من تأثير على اللغات فيحصل التطور فيها والتفرع من
بعضها كما يحصل ذلك في الحرف ايضا ايجابا له مع مرور الايام .
فالحموريون او الارام في الشرق كانوا من حيث الدولة والسلطان
قيماً كارومان في الغرب من حيث الدولة والسلطة او كالعرب بعد الاسلام

(١) تفرع حرف الفنيق في الشرق الى ثلاثة فروع الارامي ، والمسند
الحميري ، والعبري القديم فالارامي تفرع الى ستة فروع وهي التدمري ،
والهندي يانواعه ، والفارسي الفهلوي ، والعبري المربع ، والسرياني ومنه
الحيثري على رأي علماء الغرب ، والنبطي ومنه العربي النسخي .
والمسند الحميري تفرع منه ثلاثة فروع وهي الحبشي ، والعبري المربع ،
والحيثري على رأي مؤرخي العرب ومنهم ابن خلدون والغربيون ينكرون
عليهم ذلك .

وهذه بعض فروع الحرف الارامي شكل (٥) فمن اليمين الى اليسار
العبري المربع (١) ، فالعبري العادي (٢) ، فالفارسي القديم (٣) ، فالفارسي
الرقاع (٤) ، فالتدمري (٥) ، فالنبطي (٦) فالسطنجلي (٧) ، فالسرياني (٨)
العادي مأخوذة عن تاريخ الادب لحفني بك ناصف .

من هذه الناحية ولذلك انتشر حرف الارام هذا او المنهاري قبله في الشرق كما رأيت بانتشار الارامية فيه تلك اللفة التي كادت ان تكون لفة هذا الشرق جميعه .

ومن ثم تفرع حرفهم هذا الى عدة فروع بعد زوال سلطانهم ودولتهم وتطور مع توالي الايام كما تفرعت الارامية بعد ذلك الى الكلدانية فالسريانية مثلاً وكما تفرعت اللاتينية الى الطليانية والاسبانية وغيرها من اللغات ، وكما تفرعت العربية الى بضعة لهجات تختلف عن بعضها باختلاف الاقاليم ولا يجمعها غير هذا الحرف الذي نعمل لاصلاحه وتقييده خشية عليها من التقلبات .

فالكتابة التي تقرأها على آثار بطرا عاصمة الانباط قديماً هي ارامية الاصل لو لا انها تختلف عنها اختلاف الاسبانية عن اللاتينية مثلاً ، او الارامية التي كتب بها الاتباط حينذاك هي ايضاً غير الارامية التي تستعمل اليوم ، وهكذا نستطيع ان نقول في تطور الحرف او تطوره بتطور اللغات .

ومن ثم بعد ان غلب الارام على امرهم في وادي الفرات هبطوا الجزيرة ملجأ العرب واقاموا في جزيرة سيناء يتعاطون التجارة كالفنيقيين حتى غارت سبأ عليهم بعد ذلك وغلبتهم ، فضعفت لغتهم بعد ذلك وكتبوا بعدها بالحرف المسند الحيري ، ولهذا الذي اخذه السبائيون عنهم فيما بعد واخذته العرب عنهم وتفرع منه الحيري الذي اختلف في اصله كما مر بك .

الانباط

والانباط الذين اخذت العرب عنهم حروفهم النبطية واستعملوها قبل ان يأخذوا الحرف الحيري من العراق كانوا اهل دولة في القرن الخامس قبل الميلاد لا يتجاوز عددهم العشرة الاف ، وعاصمتهم بطرا الواقعة بين الحجاز وفلسطين وانما امتد سلطانهم حتى الشام فامتلكوها من السلوقيين في عهد الحارث اول من ضرب التقدم منهم في القرن الاول قبل الميلاد . وقد اتصف الانباط بالبأس والشمم كما اتصفوا بالبلاغة والبداهة شأن الامم البدوية

حينذاك وما يؤثر عن احدثهم تأثير قوله في الرومان وهو محصوراً منهم
فصرفهم عن حصاره بخطاب الفاء عليهم من اعلى حصنه . وانما لم يسمر
الانباط كثيراً ولم تقدمهم الحجة والبلاغة وقد اكتسبهم الرومان اخيراً
في القرن الثاني بعد الميلاد ودخلت بطراً فيما دخل من بلاد الشرق في
حوزة الرومان . ومن ثم تفرقت الانباط اخيراً بين الكلدان والسريان
وتطورت لغتهم الارامية او العربية بتطور الايام كما تطور غيرها من
اللغات .

تطور حرف الارام

فهذه هي الارام من حيث انتشار حرفها واما من حيث تطوره
فهو لم يتغير فيه شيء عن اصله الفنيقي ونما تطور في الشكل . ولم
تكن الارام بعيدة عن الفنيق كثيراً ليتغير حرفها عن الفنيق كما
تغير حرف الاغريق مثلاً فكلاهما ساميتان الاصل وكلاهما شرقيتان في
العادات وفي كل ما يضم المحيط الواحد بخلاف اليونان من هذه
الناحية ومن جهة ثانية ان الارام العظيمة التي عرفها القاري الكرم
هي غير هذه الاخيرة من حيث الدولة والحضارة ليرقى حرفها بمحضارتها
وقي حرف الرومان مثلاً ، فتلك التي مر بها القاري الكرم لم
تستعمل حرف الفنيق هذا وانما استعملت الحرف المسماوي الذي
كان قبله ، ذاك الذي مر ذكره في المدينة الاولى كما رأى .

فالارام هي ككل دولة عظمت ثم ضعفت وتشتبت وانما هبة
العظيم تخدم صاحبها حتى حين . فرفهم الاخير هذا انتشر بانتشار
لغتهم مع مرور الايام لا بانتشار سلطانهم ، وتطور في الامم التي
اخذته عنهم لا فيهم ، وانما ظل واحداً من حيث تسميته او بنائه وما اشد
احتفاظ الآخرين في عادات من سبقهم .

وهذه قطعة من حرف الارام الذي كتب به الانباط قبل ان يتطور
شكله في الانباط شكل (٦) ويليه تفسيره شكل (٧) فانظر اليهما .



شكل (٦)

٤٢ ٢٢ ٤ ٢١ ٢٤

٤٥ ٤ ٢ ٢٢ ٤ ٢

٢٤ ٢٢ ٤ ٢٢ ٢٤

٢٤ ٢٢ ٢٢ ٢٢

شكل (٧)

وهذه هي الاحرف التي كتبت بها الالفاظ بعد ان تطورت فيهم

شكل (٨)

ושמעו ה' עני עדיו ה' תדליו
 אלהים למעש וגלוש ואמרת ולמנו דגמ רדו
 תכתבנו חיו עיו מדלול ולמנו דמנו דמנו
 עדיו שמעו ריו רדו רדו רדו רדו
 ורשו וחו עמ וחו וחו וחו וחו
 נלמנו ד' ד' ד' ד' ד' ד' ד' ד'
 ד' ד' ד' ד' ד' ד' ד' ד'
 לד' לד' ד' ד' ד' ד' ד' ד'
 וד' ד' ד' ד' ד' ד' ד' ד'

שכ (٨)

اواخر الكلمة وهذا مما نجعله ولا يمكن تقديره . وانما الذي يغلب على الظن بان الارام جاءوا قديماً قبل الاوان اي قبل ان ينضج الانسان كثيراً فان كان هنالك من سبب فهو هذا لا سيما والمساء غير الصباح ليتمكن الارام من العمل كما مكنتهم في اول امرهم .

فالخلاصة ان الارام ما خرجوا عن انهم اصحاب دولة وحضارة سواء كان ذلك في مجدهم الاول او دور انحطاطهم الاخير وانما لم يقييدوا حرفهم لا في الدور الاول ولا فيما بعد . فاما ان يكونوا كالعرب قبل الاسلام في لغتهم لم تؤثر عليهم الحضارة فيها ليجتاجوا الى تقييد الحرف ، واما ان يكونوا كالعرب بعد ذلك في لغتهم ، تأثروا بالحضارة ولم يقيدوا حرفهم قيداً ملازماً له وهذا كل ما نستطيع قوله في الارام وحرفهم . وقد ادرك الاديب كل ما نقصده ولعلنا نعود الى شيء من هذا في دولة العرب بعد ان نمر بالقاريء الكريم في فرع اليونان ايضاً ليدرك باننا لفرق بينهما من حيث القاعدة التي ورثاها عن الفينيقي .

ففرع اليونان الذي تفرع منه اللاتين وكل ما في الغرب من فروع وحروف لا بد لي ايضاً قبل ذكره من لمحة عن الغرب وتطوره قبل ان نذكر شيئاً عن تطور حرفه لتظهر لنا اسباب ميزة حرف اللاتين هذا عن حرف الارام في بعض نواحيه فاقول :

لمحة في الغرب

كانت اليونان من الغرب قديماً كما كانت مصر وبابل من الشرق وانما جاءت بعدها في التاريخ . ولو رجعنا الى قول علماء الجولوجيا الذين يقولون بان الانسان الاول خرج من افريقيا واجتاز منها الى اسيا فاوروبا كانت بلاد اليونان هي المدخل الاول له في اوربا ، واذا قلنا كما تقول علماء التاريخ الذين لا يختلفون عنهم كثيراً ، بان العالم الاربي في اوربا هو فصيلة من العالم الاربي في آسيا كانت كذلك بلاد اليونان هي رتاج اوربا ذاته ومدخل عالمها القديم . وعلى كل لم يختلف المؤرخون بان اليونان هم الاولون في الغرب

لقرهم من الشرق واليههم والى الرومان من بعدهم ينتهي فخارهم الاول .
فالليونان هي احدى المدنات الثانية التي كانت معاصرة لبعضها فيما قبل
القرن العاشر قبل الميلاد ولكن بعد ان مرت باعصر قديمة مجهولة شأن
سائر العالم قبل التاريخ . والزمن الذي بدأ يرسل اليها نوراً من ناحية
معروفة في الشرق قبل نهضتها ، كان يرسل الى ناحية اخرى في الشرق
باسها والعظمة ، والناحية الثانية هذه هي اختها الآرية قبل زمن التاريخ واضعة
كسرى ومن جاء قبله او بعده من الفرس .

تلك الامة الفارسية التي ما بلغت اشدها في القرن السادس قبل الميلاد ،
حتى التفت على جارياتها آشور وبابل وتجاوزتهما الى هذه الاخيرة بعد ان
قضت على ليديا في آسيا الصغرى ، وكانت بعد ذلك سيدة مطلقة في آسيا
الغربية ووادي النيل .

ولهذه التي التفت على الاغريق درسها المريع وحركت اعصابها حتى قبض
لها الاسكندر وكان له ما اراد .

فالفرس هم الذين امتدت سطوتهم الى الغرب قبل ان يمتد الغرب الى
الشرق ، فكأنهم كانوا سبياً لدفع الاغريق الى السيادة او المندنية بعد ان
آن دور هؤلاء وجنحت الشمس اليهم من مشرقها وكانت فيهم وفيمن
بعدهم حتى ظهور الاسلام .

فمن عهد الاسكندر في القرن الرابع قبل الميلاد يبدأ تأخر الشرق
المتوغل في القدم والتمدن ، ولذلك القائد المكدوني الطموح هو الذي
سلب الشرق مدينته الاولى ، تلك المندنية التي ما لبثت ان تحولت الى الرومان
في القرن الثاني قبل الميلاد ، وكانت من الغرب مكان الاساس من البنيان .
ولان استرجعت الفرس مكانتها فيما وراء الفرات بعد الاسكندر ، غير
انها لم تصل الى ما وصلت اليه الرومان من الشرق ، لا سيما في النظام
والادارة والفنون الجميلة من حفر وتصوير وغير ذلك ، هذه التي لها علاقتها
الكبرى في شكل الحرف وتقييده كما سيأتي .

ولان اظلم الغرب بعد ذلك ، او ضعفت الرومان باستيلاء الجرمن عليه

من جهة وبظهور الاسلام في الشرق من جهة ثانية ، غير انه ما عثم ان
استمد نوره ثانية من الشرق باحتكاكه به في الحروب الصليبية المتوالية ومن
الغرب الجنوبي حيث كانت اصحاب العمائم في الاندلس تدرس من على المنابر
ابناءه . غير انه خسر لغته اللاتينية في هذه القرون المظلمة التي اجتازها ،
بما تطرق اليها من الفساد حتى خرج منها مستعملوها اخيراً الى لغاتهم او
لهجاتهم المتفرعة منها ، بعد ان ظلت اللاتينية لغة التدوين عشرين قرناً
الاقليلاً .



شكل (١٠)

﴿ العرب تدرس الفرنجة في اوربا ﴾
نهضات الغرب

فالغرب نهض باليونان والرومان في نهضته الاولى ومن ثم نهض في القرن
الثالث عشر اثر احتكاكه بالشرق كما ذكرنا وانما ظل يؤلف باللاتينية
وحدها رغم زوال سلطان الرومان او باليونانية احياناً لغة العلم الاولى حتى

نهضته الحديثة هذه في القرن السادس عشر ، هذه النهضة التي خرجت فيها كل امة على تقاليدھا القديمة واستعملت فيها لغھا الحديثة التي لا عهد لها في التدوين سابقاً بدلا من اللاتينية ، مندفعة الى ذلك بعامل الاضطراب وحده ، لما بعدت من اصلھا اللاتيني كما بعدت لغة العرب العامية من الفصحى الان ، وانما احتفظت كل امة من هذه الائم بحرفھا اللاتيني بعد ان عدلت به ايجابا لها ، حتى اختلفت اصطلاحا بعد ان كان واحداً في الاصل وهذا الذي سنصل اليه .

تفرع الحرف الفنيقي في الغرب

فالْحرف الفنيقي اخذته اليونان اولا ومن اليونان اخذته الرومان ومن الرومان الجرمن ومن الجرمن اللاتين ومن هؤلاء كل اوربا فالغرب جميعه .

وكل ما وصل اليه حرف اللاتين او حرف الغربيين من التحسين ، هو انه توسع في الاحرف الصوتية او احرف العلة علاوة عن الشرقيين وذلك ايجابا للغة لاختلاف الغربية منها عن الشرقية ، وقد كان ذلك في الحرف الفنيقي وانما كان يستعمل في مد اللفظ فقط كحرف العرب في صدر الاسلام هذا من حيث الهجاء واما من حيث الشكل واختلافه عن الاوامي او ميزته من هذه الناحية فذلك لسبب آخر لا بد من تحليله في كلمة عن الحضارة واطباع ، الانسان الفطرية والاكتسابية فيها ، لملاقة الحرف في هذه الناحية من حيث ميزته في شكله وتقييمه ، فيدرك الاديب ما تقصد قوله اجتنابا للتطويل في هذا البحث فاقول :

الحضارة

الحضارة تختلف عن بعضها باختلاف زمانها وقدرها كما هو معلوم . وهي جامعة الصفات المتباينة ومدينة النشؤ والتطور ، ومن شأنها ان تقلل ما قبح في الانسان من جهة ، وتكثر ما حسن فيه من جهة اخرى ، على انها لا

بد ان تسو الى ما حسن في الانسان نارة ، كما انها تزيل كثيراً مما فطر عليه
احياناً ، وذلك لما تسترق الطباع من بعضها من صفات ، ولما يحدث فيها من
سيل جارف قتال ، او نعيم خال . في الحياة .

هذا من جهة ، ومن جهة ثانية ، لا بد لكل انسان من صفات فطرية
مخلوقة فيه ، واكتسابية علق به ، والاولى هي التي تكونت الخطارة منها
وهي اما الاولى لانها عريقة في الانسان ، والثانية هي ما اتجته الحضارة من
الصفات ، بعد ان خالط الانسان فيها الانسان ، فهي بنت الحضارة وام
الاعمال الشائعة . والفطرية الاولى هذه مختلفة في الانسان عن بعضها بقدر
اختلاف الانسان عن بعضه في ظواهره ، ولهذا اختلف الانسان بها عن
الاخر في اخلاقه واعماله وبينته كما هو معلوم . وهي اس او مبعث لما يلائمها
من الاعمال ، مهما اختلفت الاعمال وتعددت او اختلفت وتنوعت هي .
فالذي فطر على البلاغة والجرأة مثلاً وزوال الخطابة والقيادة هو ذلك
الخطيب الذي لا يبارى او الفاتح الذي لا يرد ، وبمكس ذلك فيما لو زاول
الصناعة والرسم كما لا يخفى فانه لا يسود فيها قط كما يسود بهاتين المهنتين
الخطابة والقيادة ، وذلك لان الفصاحة والجرأة لا تصاحبان بان تكونا
مبعثاً للصناعة والرسم مثلاً كما يصلح ان يكون الذكاء وحسن الذوق في الفن
مبعثاً لهما .

والصفات الاكتسابية الاخرى هذه التي اوجدتها الحضارة في الانسان
بالمزاولة والممارسة ، او اوجدتها الثقافة ، او استرقها الطبع هذه التي نراها
في الخطيب اذا خطب والحاكم اذا حكم ، ونراها في الفنان والصانع والمدرس
وفي جميع الطبقات ، هي ثمرة من الاولى بل هي نفسها فيما لو كانت كل صفة
منها قائمة على ما يصلح لها من الصفات الغريزية كما ذكرنا ، وانما تخالفها
فيما لو كانت بخلاف ذلك وتعد اكتسابية فيه .

وميزة الاكتسابية هذه عن الفطرية ، انها شائعة بين عموم الناس ،
لا ترد طالباً ما بخلاف الفطرية التي تحتص ببعضهم دون آخرين .
غير انها كلاهما يستمدان قوتيهما من الحضارة ويتغذيان منها كما يمدانها

ويقضيها بعد ذلك . وهكذا دواليك حتى يقضي الله امرأ كان مفعولا .
ومن هنا عظمت المواهب الفطرية في الانسان وتميزت فيه عن الصفات
الاكتسابية بعد ان زاول اعماله في الحضارة ومارسها ، فتي رأينا فنانا نابغا
في تصويره مثلا ، حكمنا له في اللباقة وحسن الذوق المفطور عليهما فوراً ،
واما اذا كان بعكس ذلك ، حكمنا في لباسه لغيره ودودنا له عملاً آخرأ
بلائم ما فطر عليه .

هذا من جهة ومن جهة ثالثة ، الحرف في شكله وتنظيمه مما يعود الى
الصناعة والفن والى حضارة مستعمليه وميزتها عن بعضها من جهة والى
طبائعهم الفطرية وميزتها عن بعضها ايضاً من جهة اخرى . فحضارة الرومان
او من جاء قبلهم او بعدهم من اليونان والغريين ، لا تحتاج الى تعريف من
هذه الناحية اي من حيث ميالهم الفطري الى النحت والتصوير وما اشبه ذلك
لا سيما بعد اعتناقهم النصرانية واندفاعهم الكبير الى تصوير الآلام وتمثيلها
فهم بعكس الارام من هذه الناحية لا سيما العرب بعد الاسلام .

فميزة حرف اللاتين عن حرف الآرام او العرب من حيث شكله هي
لهذه الاسباب وحدها وللآرام او العرب عذرهم الطبيعي من هذه الناحية .
واما من حيث تقييد الحرف ، وادخال الحركة او الاحرف الصوتية في
صلب الكلمة ، تفريقاً لصوت الحرف علاوة عن الفتيقين ، فذلك التي تميزت
الاعم بها عن بعضها ، وكان الاسبق اليها من شعر بحاجة اليها فاستعملها
كالرومان ، واستغنى عنها من انس في نفسه قوة لغوية واعتد بها كالارام ،
اولئك الذين البسوا حروفهم حلتها اللفظية دون ان يلحقوا بها شيئاً .

فالرومان او الارام وان همرفت كل منهما بالبلاغة وقوة العارضة ، وانما
امتازت الارام بقوة اللغة من هذه الناحية ، كما امتازت الرومان بالنظام
وحسن الترتيب في كل اعمالهم الا في الحرف وحسب ، بل امتاز الغرييون
من حيث هم من هذه الناحية عن سواهم ، ولنعم الوراثة هذه التي اخذوها
عن اسلافهم الاولين .

وانما مع كل ذلك لم يصل الرومان او الغرييون الى الغاية المثلي في

ترتيب حرفهم الذي ما زال يفتقر الى مرحلة اخرى ليكون كما يتطلبه الانسان على اختلاف لغات الانسان ، وذلك لانه ما زال يختلف عن بعضه اصطلاحا باختلاف اللغات التي تستعمله من جهة ، ولانه ما زال يتأول ويفتقر الى التقييد في بعض نواحيه . والحرف الذي لا عيب فيه ، هو الذي لا يختلف اصطلاحه عن بعضه باختلاف اللغات ، والذي لا يتأول قط او يلتبس حرفه بصوته ، والذي لا حاجة معه الى المعجاء في قراءته بعد ان تعرف الف بـه . والذي يحفظ اللغات حتى الابد ويكون عوناً لها في رقيها . هذا اذا كان القصد من الحرف نشره وتعميمه كما بينا ذلك في تشريح الحرف . ولان اردنا معرفة اسباب اختلاف العرب عن اللاتين في الحرف بعد ان كان واحداً في الاصل ، ومعرفة اسباب النقص والحلل في كل منهما ، وجب علينا اولاً معرفة طبع الانسان المفطور عليه منذ القدم والذي ما زال مفطوراً عليه حتى الان ، وهو حب الاختصار والتسهيل في كل اعماله ، وباختلافه رأياً وراء ذلك اختلفت اعماله عن بعضها من جهة ، وجاءت عليلة ومشوشة من جهة اخرى ، فحصل النقص هذا في حرفه ، والنقص اخو الزائد كما يقال . وهذه حقيقة لا خلاف فيها ولا جدل .

فالسبب الصحيح المأموس في اختلاف الحرف عن بعضه ، جاء عن هذه الطريق وهو السبب الوحيد في اختلافه عن بعضه منذ الازل ، بل السبب الوحيد في نقص الحرف وشذوذه .

ما كانت اللغات الكثيرة لتكثيف الفاظها بالسهولة التي يتطلبها الانسان احرف لم يراع فيها النظام والتدقيق المطلوب ، ويميز فيها بين جزء الكلمة من جزء الحرف . فسواء كان العرب او اللاتين او اليونان والارام قبلهما ، لما لم يخرج كل منهما عن الاصل الفينيقي القديم في صيغ الكلام ، او لما لم يخرج كل منهما عنه في اختصار الحرف ، حصل لكل منهما هذا الاختلاف عن الاخر من جهة ، كما حصل في حرف كل منهما نقص او خلل لهذا السبب من جهة اخرى .

فالحرف هو صورة الكلام بمجموعه ، وجزؤ منه بمفرده ، والحركة هي جزؤ الحرف ولا يجوز لها ان تقوم مقامه . فلو راعى الانسان هذه القاعدة الطبيعية فيه ، لسهل عليه فهم الحرف كثيراً ، ولاستطاع ان يقرأ كل منا اي لغة كانت بعد ان يعرف الف بأنها فقط ، فيما اذا كان حرفها منظماً كما نريده او كما جاء في هذا الاصلاح .

حرف اللاتين لم يكن حرفاً تاماً حين خرجت امم الغرب من اللاتينية كما رأيت واستعملت لغاتها هذه بدلا منها في التدوين ، ولو كان تاماً لما احتاج مستعملوه الى تعديله في تكيف اصواتهم حتى في اللغات التي اشتقت من اللاتينية نفسها ، كالافرنسية والبرتغالية وغيرها ، وهو ما زال قاصراً من هذه الناحية ومحدوداً يرغم مستعمليه على مصطلحاتهم هذه العقيمة . فالاسباني الذي لم يدرس الافرنسية مثلاً ، هو لا يستطيع قراءتها مع معرفته الحرف الا بعد ان يقف على قواعد هذه او اصطلاح قراءتها . وهكذا يكون حرف العرب ايضاً فيما اذا اراد مستعملوه ضبط لغاتهم به او فيما اذا قدر على العربية ما قدر على اللاتينية واستعملت العرب لهجاتها .

وانما علة العربية حرفها هذا وحده ، فأما ان يقضي عليها فيغيرها اخيراً ، وامان تقضي عليه فيما اذا لم يتدارك شأنه .

فقد رأيت ان كل ما حصل من التطور في حرف اللاتين لم يخرج عن شكله والاحرف الصوتية التي ضمت اليه على ان هذه اي الاحرف الصوتية كانت في اصله الفينيقي القديم وهو المد الذي نلسمه في حرف الفينيقي كما وضعه الفنيقي ، هذا المد الذي ميزه الغربيون عن الحركة او الحرف الصوتي الذي اضافوه بان جعلوه اشارة باعلى الحركة تميزاً للحركة عن المد فكأنهم لم يخرجوا عن الاصل الفينيقي في ذلك ابداً الا بايجادهم نصف المد وهو الحرف الصوتي ، وليس هذا هو كل ما يحتاجه الحرف ، فالحرف يحتاج الى الترتيب والنظام الصحيح واستئصال العلة التي فيه ، ليكون كما يتطلبه الانسان كما ذكرنا

وهذا الحلل الذي ندعيه في حرف اللاتين هو لا يظهر الا بالمقابلة بينه وبين هذا الاصلاح الذي نفعده متى شاء ذلك اولياء الامور .
هذا ولم يعد امامنا الا تطور حرب العرب ابتداء من دولة العرب حتى يومنا هذا اثباتاً لقولنا بان الحرف ما زال هو هو من جهة رغم تطوره في دولة العرب اكثر مما تطور في خلافها فيما بعد ، ومن جهة ثانية ليرى القارى الكريم اهتمام العرب خلفاءها وامراءها ووزرائها بتقيد الحرف واعجابه صوناً للغة وحفظاً لها حينما كان للعرب سلطانهم ولقهم التي يحافظون عليها .

فابدأ والحالة هذه بلمحة في انسابها وقبائلها ايجاباً للبحث ، ومن ثم العرب الجاهلية قبل الاسلام وحياتها وصفاتها ويداوتها حتى ظهور الاسلام واستعمالهم الاقلام حينذاك وما طرأ على اللغة بعدها وما تطور اليه الحرف بتطور اللسنة ، وما هي حالة العرب اليوم وما تحتاج اليه ، وذلك تمهيداً لكلمة اخيرة تبرر ما نقوم به من العمل من جهة ولكي نحثكم اخيراً الى القارى الكريم في وجوب اصلاح الحرف او عدمه من جهة اخرى ، ورغم ان العمل الصالح لا حاجة معه الى برهان معروف . وقسمت ذلك الى ثلاث مراحل . الاولى العرب في الجاهلية حتى ظهور الاسلام ، والثانية تطور حرف العرب بتطور لغاتهم ، والثالثة حالة العرب الحاضرة وما تحتاج اليه العرب . فابدأ بالاولى منها فاقول :

﴿ جزيرة العرب ﴾

جزيرة العرب هي مهد العرب الاول ومبعث العرب قبل التاريخ وبعده وما زالت العرب فيها خيرة العرب حتى الان ، وستبقى ملجأها وعرينها الذي لا يقتحم حتى الابد . ومن الاثريين من يقول باقدمية انسانها على سواء وباقدمية مدينتها ايضاً وبان المصريين عنها اخذوا عناصر المدنية الاولى وانما حظها من الثقيب كان قليلاً نسبة الى غيرها ولعلها ستبحث عن تاريخها ومدينتها بمعاولها وتديرشئونها برجالاتها لابقى بلجأ اليها .

﴿ العرب قبل التاريخ ﴾

اما العرب قبل التاريخ كعماد وتمود ، وطسم وجديس ، وعماليق وجاسم ، وغيرهم فقد ضاعت اخبارهم ونحن لا حاجة لنا الى شيء من هذا البحث وجل ما نزيد ، هو ان نفرق بين عرب اليمن والحجاز من حيث المدنية القديمة لتظهر لنا بداوة عرب الحجاز ، وبلاغتهم وفصاحتهم وميزتهم من هذه الناحية ، وليظهر تأخرهم في الصناعة والحضارة من جهة اخرى ، وذلك لعلاقة الصناعة في شكل الحرف وتقييده الذي هو بحسبنا ، هذا الحرف الذي يتبدأ فيهم بظهور الاسلام فاقول :

﴿ قبائل العرب وبطونها قبيل الاسلام ﴾

ادرك الاسلام العرب وهم الى قسمين كبيرين قحطان في اليمن ، وعدنان في الحجاز ، وقحطان اقدم من عدنان في المدنية ومنهم حمير والتبابعة ، ومن التبابعة يابقيس في القرن العاشر قبل الميلاد . وقد حكمت اليمن الحجاز حتى استقلت اخيراً بقيادة كليب على ربيعة قبل الهجرة ، وقيل انفجار السيل في القرن الثاني قبل المسيح ، تركت اليمن قبائل معروفة في التاريخ كاللخمين في الحيرة ، والاوز والحزرج في المدينة ، والنساسنة في الشام ، والازد في مناء ، وخزاعة في جوار مكة .

فعدنان في الحجاز ، منها معد ومن معد نزار ومن نزار سيد العرب وانقسمت نزار الى ربيعة ومضر فسكنت ربيعة (١) العراق ، ومضر (٢) مكة ولسكن من هذه البطون سمة خاصة بها . فكانت مضر مشهورة في بلاغتها ، وربيعه بفروسياتها ، والى غير ذلك مما يدل على بداوة العرب وميزة كل عشيرة منها .

- (١) ومن بطونها اسد وجديلة ، وتقلب وبكر ، وضبيعة وعنزة وغيرها
(٢) ومن مضر نزار اهل الغلبة في مكة ولهم الرئاسة فيها ومنها قريش وتشعبت قريش الى خمسة وعشرين بطناً منها بنو هاشم وعبد مناف .

✽ عرب الحجاز من حيث حياتهم ✽

فعراب الحجاز قبل الاسلام ، اولئك الذين اتصفوا بالنجابة والبلاغة ،
والبداهة والفصاحة ، والبسالة والشمم ، والمرؤة والكرم . كانت دنياهم
البادية ، حيث المها والظبا ، وحيث سبج الجنائب ، وزقهم الماشية والغار ،
وعدتهم الخيل والسيوف وعملهم الفروسية والقول .

✽ عرب الحجاز من حيث ادبهم ✽

كانوا ينظمون الشعر في حربهم وسلمهم ، في رحيلهم واقامتهم ، ويتأثرون
بالبغى ، ولربما اوقدوا بينهم بيتاً من الشعر المؤثر . ولشدة شغفهم بذلك
كانت لهم اسواق للآداب يضربون اليها غوارب الابل من اقاصي الجزيرة
ويجيئونها اياما وشهوراً . اشهرها عكاظ (١) في الطائف حتى بلغ بهم ان
علقوا قصائدهم في بيت دينهم الكعبة وصميت بالمعلقات تعظيماً للشعر والبلاغة
وهذا مما تفردت به العرب وحدها بين الامم ، ورفعت الى جانب آفئتها
البلاغة . ومن قولهم المأثور ، المرء باصغريه قلبه ولسانه ندرك كيف انهم
كانوا ينظرون الى الحياة وكفى . وجل تاريخهم كان يدرك من شعرهم عن
طريق الرواة ، صحائف تلك العصور ، اذ لم يكن هناك قلم وتدوين . فتي
قرأنا في الادب عن الراوية والاصمعي ، وابي تمام وغيرهم ، وما كانوا يحفظونه

واشهر القبائل العدنانية غير ما تقدم ، خزيمه وكنانة ، والنضر وشيبان
وهوازن وقيس ، وسليم وغطفان ، وذبيان وسقيف ، وعقيل وتيم ، وكلاب
وهلال وعبد القيس وغيرها .

(١) عكاظ هي صحراء تقع ما بين الطائف ونخلة ، كانت تؤمها
العرب في اول ذي العقدة وتتركها في العشرين منه الى مكة فيقضون
مناسق الحج ومنها الى اوطانهم . وكان للعرب ايضاً اسواقاً يقيمونها في
اشهر السنة وينتقلون من احداها الى الاخرى ومجالساً يجتمعون فيها لمناشدة
الاشعار . منها نادي قرئش ، ودار الندوة ، وبالاختصار كان العرب حينما
اجتمعوا تناشدوا وتفاخروا كما يعلم الاديب .

لهم من الاف القصائد (١) ، ادر كنا استرسلهم الغريب في الشعر ، وحكنا
للسنة العرب حكمنا في سيوفهم .

فعر الجاهلية ، رجالا كانوا ام نساء ، شيوخا كانوا ام غلمانا ، لا فرق
بينهم من حيث اللغة والاعراب . وذلك لانهم عرب خاص ابناء بادية
شديدو التمسك بلغتهم التي شوا على فصيحها ، يعربون كلامهم حسب المعاني
والقصد لملكة اللغة فيهم ، مثلهم كمثل السواد الاعظم في هذا العصر هؤلاء
الذين يستعملون الثبرة في اللسان عوض الاعراب فيتفاهمون .

* خطهم او حروفهم *

عرب الحجاز ، بل عرب الجاهلية من حيث هم ، لم يستقم او يتحسن
خطهم او حروفهم ، الا بعد الاسلام وبعد ان توسعت العرب في الفتح
وخرجت من الحجاز الى الشام والعراق ، وسائر الاقطار كما هو
معروف .

فنحن ولان وصفنا عرب الجاهلية بالبلاغة وملكة اللغة والى غير ذلك
من الصفات المعروفة عنهم ، فاننا لم نفعل ذلك او لم نذكر ما هو معلوما عنهم
لو لم يكن هنالك من سبب يدعو اليه ، لتسهل علينا معرفة اصل الخلل في
الحرف ومن اين اتى وكيف فاقول :

كما ان البداوة في عهد الجاهلية كانت هي الباءت الاكبر لفصاحتهم
وبلاغتهم كما ذكرنا ذلك ، وكذلك البداوة كانت هي نفس الباءت الاكبر
لعدم انتظام حروفهم هذا الذي كانوا يستعملونه . وذلك لان ملكة اللغة التي

(١) كان ابو تمام يحفظ اربعة عشر الف ارجوزة غير القصائد والمقاطع
وحامد الراوية يحفظ سبعة وعشرين الفاً ، والاصمعي يحفظ ستة عشر الفاً
وغير هؤلاء مما يعرفه الاديب ولان فرضنا ان في الرواية مبالغة او زيادة
مهما كانت ، فعلى كل حال ليست آلاف الالفيات بالشيء اليسير فلا نسبة بين
العرب واليونان شيوخ العرب من هذه الناحية او انك الذين يقتخرون
بالإليازة مثلاً وللعرب من امثالها الكثير الكثير .

كانوا يتمتعون بها منذ جاهليتهم خلفاً عن سلف ، جعلتهم لا يشعرون بخلل الحرف الذي كانوا يستعملونه في ايام جاهليتهم حتى ظهور الاسلام . ومن ثم بقدر ما كانت ملكة اللغة حاصلة لديهم بسائق البداوة هذه ، فكذلك كانت صناعة الاحرف بعيدة عنهم بسائق البداوة نفسها ، ولذلك لما ظهر الاسلام فيما بعد وهبت العرب الى الفتح بالسيف والسيف من متاعهم ، احسنوا العمل به في الوقت الذي لم يستطيعوا ان يصنوا لغتهم بالقلم الذي ليس من متاعهم .

واليك اكبر دليل على سوء انتظام حرفهم حينذاك ، هذا الخط الذي وجد على قبر امريء القيس بن عمرو احد ملوك لحم شكل (١) هذا الذي يرجع تاريخه الى (٣٢٨) سنة من ميلاد المسيح . وقد عثر عليه في خرائب النمارة بحوران . مع ايضاح كل سطر على حدة وتفسيره فانظر الى الهامش (١)

١
٢
٣
٤
٥
٦
٧
٨
٩
١٠
١١
١٢
١٣
١٤
١٥
١٦
١٧
١٨
١٩
٢٠
٢١
٢٢
٢٣
٢٤
٢٥
٢٦
٢٧
٢٨
٢٩
٣٠
٣١
٣٢
٣٣
٣٤
٣٥
٣٦
٣٧
٣٨
٣٩
٤٠
٤١
٤٢
٤٣
٤٤
٤٥
٤٦
٤٧
٤٨
٤٩
٥٠
٥١
٥٢
٥٣
٥٤
٥٥
٥٦
٥٧
٥٨
٥٩
٦٠
٦١
٦٢
٦٣
٦٤
٦٥
٦٦
٦٧
٦٨
٦٩
٧٠
٧١
٧٢
٧٣
٧٤
٧٥
٧٦
٧٧
٧٨
٧٩
٨٠
٨١
٨٢
٨٣
٨٤
٨٥
٨٦
٨٧
٨٨
٨٩
٩٠
٩١
٩٢
٩٣
٩٤
٩٥
٩٦
٩٧
٩٨
٩٩
١٠٠

- (١) « ١ » في نفس مر القيس بن عمرو ملك العرب كله ذواسر التاج
- « ٢ » وملك الاسدين ونزرو وملوكهم وهرب مذحجو عكدي وجاء
- « ٣ » بزجو في حبيج نجران مدينة شمرو وملك معدو ونزل بنيه
- « ٤ » الشعوب وملكه لفرس ولروم فلم يبلغ ملك مبلغه
- « ٥ » عكدي هلك سنة ٢٢٣ يوم ٧ بكسول بلسعد ذو ولده
- تفسيره — هذا قبر امريء القيس بن عمرو ملك العرب كله الذي حاز
- التاج وتملك الاسديين ونزارا وملوكهم وهزم مذحجا اليوم وجاء بفنائم في
- مجتمع نجران مدينة شمرو معدا وانزل بنيه الشعوب وملكه الفرس والروم
- فلم يبلغ ملك مبلغه اليوم هلك سنة ٢٢٣ في يوم ٧ من ايلول فليسعد الذين ولد لهم

﴿ ظهور الاسلام ﴾

وهكذا العرب حتى انبثق من افقهم فجر الاسلام ، وظهر الرسول يتلو كتاب ربه ، ويدعوهم الى الحق باياته البينات . فالتفت حولة العشرة وقالوا كلام الله وكان الاسلام في بضع سنين .

هكذا ابتداء الاسلام وباعنه الاكبر البلاعة سيدة القول عندهم ، ولتلك التي تغلب بها سيد العرب حتى اهتموا وتركوا ما كانوا يعبدون .

ابتداء منذ سمعت العرب كلاما ابلغ من كلامها وعدة معجزة والمعجزات من صفات الانبياء ، كما اعتبره الذين في قلوبهم مرض سحرا فقاوموه ، حتى ظهر الحق وذوق الباطل والحق خير نصير .

هكذا ابتداء الاسلام ، وهكذا ازداد المسلمون ، وهكذا عظم شأن النبي الامي بين تأثير البلاغة والسيوف الى ان نودي باسمه بعد الله من اعلى منابر مكة حتى اقصى الجزيرة . فعظم الاسلام بعد الجاهلية ، وبزغ فجر ما ليس للعرب عهد بمثله حضارة بعد بداءة ونور بعد ظلمة ، وآيات القرآن ترسل تباعا بين كل آونة واخرى فتستوعبها الصدور ، وحين ضاقت بها ظهرت الحاجة الى الاقلام خشية على الدين من الضياع ، ولقلم كانت تألفها العرب وتستعملها ، ومنذ هذا التاريخ ابتداء انتشار الخط العربي في الحجاز .

﴿ المرحلة الثانية تطور قلم العرب بتطور اللغة العربية ﴾

صرب الحجاز كما ذكرنا كانوا ابعد العرب عن استعمال الاقلام ، لبعدهم عن الحضارة وذلك نظراً لقحل اقليمهم الحماط بشبه صحراء تقع ما بين العراق واليمن ، فسواء كانت اليمن عاصمة حمير التي كانت تستعمل الحرف المسند الجليل ، او العراق عاصمة آل المنذر التي كانت تستعمل الحرف الحبري ، او الشام عاصمة آل غسان التي كانت تستعمل القلم الرومي ، كانت كلها ارقى من الحجاز في استعمال الاقلام وانما ظهور الدين الاسلامي في الحجاز جعلها ان تكون قبلة العرب وقودتهم ومبعث الخط العربي فيما بعد .

فهرب الحجاز كانوا يستعملون قبل الاسلام قلمين . القلم النبطي والقلم الحبري كما سبق وذكرنا ذلك واليت هذه القطعة مأخوذة عن تاريخ الادب تمثل لك الخططين النبطي والحبري عن يساره . شكل (١٢)

(۲)	(۱)	
ا ا	۸ ۷ ۵ ۴ ۳ ۲ ۱	ا
ب ب	۱ ۲ ۳ ۴ ۵ ۶ ۷ ۸	ب
ج ج	۱ ۲ ۳ ۴ ۵ ۶ ۷ ۸	ج
د د	۱ ۲ ۳ ۴ ۵ ۶ ۷ ۸	د
ه ه	۱ ۲ ۳ ۴ ۵ ۶ ۷ ۸	ه
و و	۱ ۲ ۳ ۴ ۵ ۶ ۷ ۸	و
ز ز	۱ ۲ ۳ ۴ ۵ ۶ ۷ ۸	ز
ح ح	۱ ۲ ۳ ۴ ۵ ۶ ۷ ۸	ح
ط ط	۱ ۲ ۳ ۴ ۵ ۶ ۷ ۸	ط
ي ي	۱ ۲ ۳ ۴ ۵ ۶ ۷ ۸	ي
ك ك	۱ ۲ ۳ ۴ ۵ ۶ ۷ ۸	ك
ل ل	۱ ۲ ۳ ۴ ۵ ۶ ۷ ۸	ل
م م	۱ ۲ ۳ ۴ ۵ ۶ ۷ ۸	م
ن ن	۱ ۲ ۳ ۴ ۵ ۶ ۷ ۸	ن
س س	۱ ۲ ۳ ۴ ۵ ۶ ۷ ۸	س
ف ف	۱ ۲ ۳ ۴ ۵ ۶ ۷ ۸	ف
ع ع	۱ ۲ ۳ ۴ ۵ ۶ ۷ ۸	ع
و و	۱ ۲ ۳ ۴ ۵ ۶ ۷ ۸	و
ط ط	۱ ۲ ۳ ۴ ۵ ۶ ۷ ۸	ط
و و	۱ ۲ ۳ ۴ ۵ ۶ ۷ ۸	و
ه ه	۱ ۲ ۳ ۴ ۵ ۶ ۷ ۸	ه
س س	۱ ۲ ۳ ۴ ۵ ۶ ۷ ۸	س
ز ز	۱ ۲ ۳ ۴ ۵ ۶ ۷ ۸	ز

فالاول هو قلم الانباط اصحاب بطرا القدماء ومجاوريهم في العقبة وفلسطين وحووران كما رأيت . والثاني هو قلم آل المنذر ملوك الحيرة في شمالي الحجاز . فلو صدف بان الاسلام ظهر في اليمن مثلاً ، لكان القلم العربي هو غير القلم الحاضر . ولكن ظهر في الحجاز وهي تستعمل هذين القلمين وكلاهما من اصل واحد كما رأيت وهو القلم الارامي الفينيقي ، وانما اختلفا تسلسلا من اصحابهما الاوامي هذا .

فالاول منهما وهو النبطي جاء عن الارام فالانباط فالعرب . واما الحيري فجاء عن الارام فالسريان فالحيرة فالعرب ، وهذا ما تقوله علماء الغرب الذين يناقضون من هذه الناحية مؤرخي العرب . فتورخو العرب يرجعون الخط الحيري الى المسند الحيري ومنهم ابن خلدون الذي يرجع آل المنذر ملوك الحيرة الى ملوك حمير في اليمن ويجمعهم في قبيلة كندة . وقد يمكن ان يكون المسند الحيري هو آرامي ايضاً لان الارام بعد ان غلبوا على امرهم في العراق انحدروا الى الجزيرة كما رأيت وكان لهم شأنهم فيها وحضارتهم ايضاً ، وهم الذين اوجدوا الحرف المسند فيها على رأي بعض المؤرخين وذلك قبل نزوح المناذرة من اليمن الى العراق بقرون .

ونحن جل قصدنا ان نبحت القلم العربي الحاضر الذي انتشر به دين المسلمين بعد ان اخذته العرب ، سواء كان الكوفي منه سرياني الاصل او حميري ، فما خرج عن انه من سلسلة خط الفينيقيين . فالحيري والنبطي هما الفرعان الذان جاء منهما حرف العرب ، وقد كانت العرب تستعملهما بان واحد وهما يتبعان من بعضهما شكلاً كما ترى ، كما انهما كانا يختلفان عن بعضهما استعمالاً . فالحيري منهما كان يستعمل غالباً في كتابة القرآن والحديث والكتابة التي لها شأنها لاستواء حروفه وجمالها بخلاف النبطي الذي يختلف عنه كثيراً من هذه الناحية ، هذا الذي لم يستعمل الا في الكتابة التي هي دون ما ذكر كما سيظهر ذلك من الخطوط التي سترها في محملها .

﴿ القراءة والكتابة في الحجاز ﴾

لقد علم الاديب ، بان العرب اهل بادية قل منهم من قرأ وكتب لان الكتابة عمل من اعمال الحضارة . فالذين كانوا يعرفونها منهم بضعة عشر انسان في مكة جلهم من كبار القوم (١) ولكن بعد ان بدأوا يستمعون الى احاديثه صلى الله عليه وسلم ، احاديثه التي جعلت طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ، وبعد ان اضطروا الى حفظ آيات القرآن والحديث الشريف شعروا بعد ذلك بحاجتهم الى الاقلام فاستعملوها فيما وجدوها لديهم من وقاع وعصب ولحاف وغيرها لتعذر وجود ما يصلح لما لم تألفه العرب من هذا النوع ، وبدأوا يستعملون القراءة والكتابة على بعض من صرفها منهم وعلى اسرى بدر في المدينة بعد ان فرض النبي على كل نفر يحسنها منهم تعليم عشرة من المسلمين بدلا من الفدية والحزاء . وهذا عمل لم يأت غير سيد العرب في التاريخ منذ الازل .

وبد وقاته ورجوع بعض العرب عن الاسلام ذهب كثير من القراء في حرب الردة ، الامر الذي هال المسلمين واجبرهم على جمع القرآن من صدور الرجال وما دون منه في الرقاع المختلفة خشية عليه من الضياع ، وقام بهذا العمل زيد بن ثابت وجمعه صحفاً على غير ترتيب بأمر الخليفة الاول ايمحبابا لرأي الامام عمر .

وفي عهد الخليفة الثالث عثمان وكانت قد كثرت الفتوح وتفرق المسلمون في مصر والشام والعراق وفارس وافريقيا وقع الاختلاف في قراءة القرآن

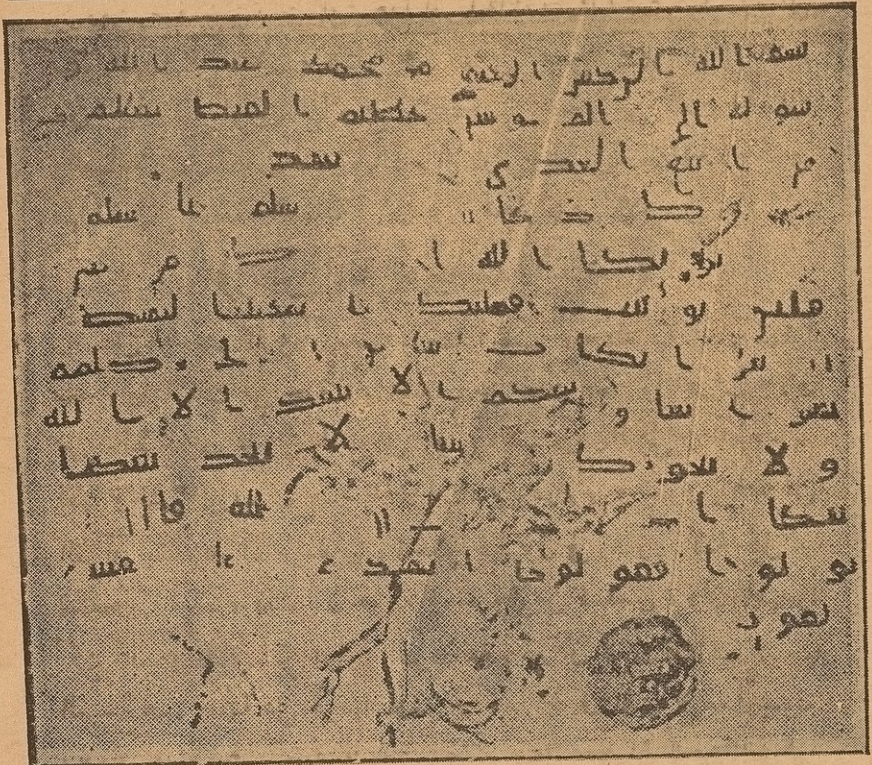
(١) هم الامام علي ، والامام عمر ، وطلحة بن عبيد الله ، وعثمان وابان ابنا سعيد بن خالد ، ويزيد بن ابي سفيان ، وصاطب بن عمرو بن عبد شمس ، والملاء بن الحضرمي ، وابو سلمة بن عبد الاشهل ، وعبد الله بن سعد ، وحويطب بن عبد العزى ، وابو سفيان بن حرب وابنه معاوية ، وجهم بن الصلت . (عن تاريخ اللغة العربية لزيدان .)

في هذه الامصار فامر عثمان زيد بن ثابت هذا وجماعة (١) معه بجمع القرآن وترتيبه وجعله نسخة واحدة كيلا تختلف القراءة ولو لا حصول هذا الاختلاف في قراءة القرآن ، لآمد بهم كره الاقلام الى زمن ابعد واقصى .

وزيد بن ثابت هذا هو كاتب النبي الذي كتب له الى معاصريه من الملوك كتب الدعوة الى الاسلام فيكون اول قرآن كتب في الاسلام هو بقلم زيد بن ثابت فانظر الى الشكل (١٣) في الوجه الثاني وتفسير كل سطر على حدة

(١) هم عبد الله بن الزبير ، وسعيد بن العاصي ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام .

وبعد انتهائهم من جمع القرآن عرض على عثمان فوجد بعض شذوذ عما يقتضيه القياس كزيادة الالف في قوله « او لا اذبحه » وزيادة الواو ايضاً في قوله « سأوريكم دار الفاسقين » وزيادة الياء في قوله « بنائي المسلمين » وحذف الياء من قوله « البنين » و « الاممين » وما اشبه ذلك . فقالى عثمان ثم كان الكاتب من ثقيف والمملي من هذيل لما وجد هذا الخطأ وقد اشتهرت ثقيف بالكتابة وهذيل بالفصاحة في الحجاز . وهذا مما يثبت لك بان العرب لم يحسنوا الكتابة في الجاهلية حتى ولا في صدر الاسلام .
« عن تاريخ الادب الحفني بك ناصف »



بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد عبد الله و
 سوله الى المقوقس عظيم القبط سلام على
 من اتبع الهدى . اما بعد فاني
 ادعوك بدعاية الاسلام - لم
 تسلم يؤثك الله اجر ك مرتين
 فان توليت فعليك انهم كل اقبط
 يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة
 سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله
 ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا
 بعضاً ارباباً من دون الله فان
 تولوا فقولوا اشهدوا بانا مس
 لمون

الله
 رسول
 محمد

ومن ثم نسخ زيد بن ثابت هذا بامر الخليفة نسخاً أخرى وارسلت الى سائر الجهات التي فتحت ، فابتدأ الخط العربي تحسن شكلاً بتوالي الايام لان الجهات التي اوسل اليها ، هي بعكس الحجاز من حيث الحضارة والصناعة فسواء كانت مصر او الشام او فارس والعراق مبعث الخط الحبري فيها اناس من مجيدي الصناعة اكثر من الحجاز كما مر بالاديب .

﴿ تطور اللغة العربية بعد الاسلام ﴾

وكان الاسلام كلما ازداد توسعاً وانتشاراً كانت اللغة العربية تزداد انتشاراً معه ، وانما كانت من جهة ثانية تضعف من حيث اللغة والاعراب ، لان من خالط العرب على اثر الفتوح من الموالي والمستعربين الكثيرين افسد عليهم لغتهم وخشي العرب ان تفسد السنة اولادهم وذوارهم ويتطرق الخطأ الى القرآن ايضاً وهو اساس الدين ، فاخذوا يفكرون في تدارك اللغة قبل ان يستفحل الفساد ، وذلك لان هؤلاء المستعربين من المسلمين ، وان اجتهدوا كثيراً بسائق الدين لكي يساوا العرب لغة ، غير ان للغات امتناعها لا سيما العربية هذه القائمة على حرفها المهمل ، هذا الحرف الذي لا يبعث صوته ويدرك تعليله ، غير العربي البدوي الصميم ، على حين ان اللحن الذي ظهر حينذاك ما هو شيء نسبة الى هذا اليوم . فانظر الى هذا التدارك .

ولما آلت الخلافة الى الامام علي خطيب العرب وعالمها ودفعته السياسة الى ترك الحجاز مهد العروبة واتخاذ العراق مقراً له والعراق خليط من العرب والسريان والكلدان ، عظم عليه الخطب مما كان يصل اليهم من اللحن والاعلاط ، قاصر الدؤلي بوضع قواعد للعربية تمنع اللسان من الخطأ . والدؤلي هذا هو ابو الاسود العالم الكبير وقد صحب علياً دهماً في الحجاز والعراق وتولى الاحكام القضائية في عهده فوضع علم النحو معتمداً فيه على العوامل التي كثيراً ما يختلف عملها في الكلام وحاك من جاء بعده من الخويين على منواله وزادوا عليه كثيراً مما زاد في التعقيد والتشويش والنا الى ما نحن فيه الان .

« تطور الحرف بتطور اللغة والحركة تضاف الى حرف القرآن سنة ٤٤٥هـ »

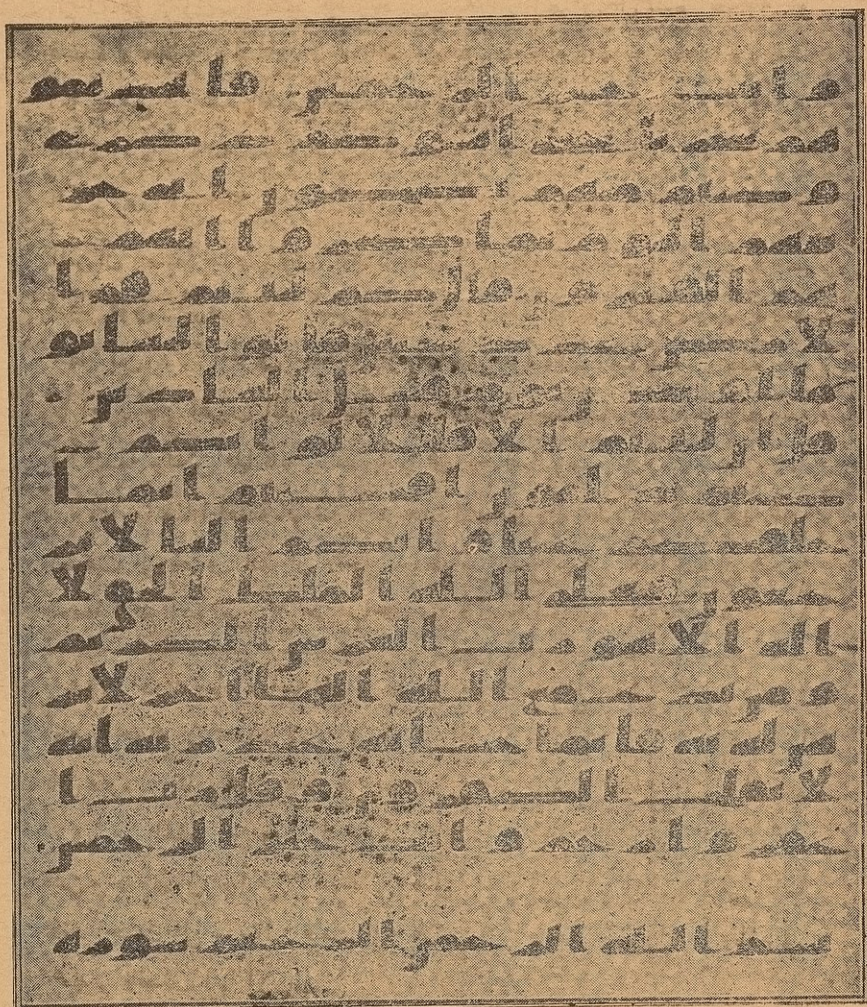
انتقلت الخلافة الى امية بعد الراشدين فجعلت عاصمتها الشام ونظم معاوية ديوان قلمه باللغة الرومية كما كان ذلك في الشام وانما بما يتعاقب بدخل الدولة وخرجها فقط واستعمل الكاعبد بدلا من الرقاع فازدادت حملة الاقلام عن ذي قبل . وكان قد اشتهر ابو الاسود الدؤلي بفضله وعلمه ، بعد ان وضع علم النحو كما رأيت فطلب اليه زياد بن ابيه امير العراق ان يضع طريقة او قاعدة لاصلاح الالسنه في قراءة القرآن على مصفحات القرآن نفسها ، وامد به بكاب من بنى عبد القيس فامتنع الدؤلي اولا لعداوة كانت بينهما قديماً ثم عدل واجاب طلبه بعد ان تغلب زياد عليه بدهائه (١) . وباشر الدؤلي عمله الكبير هذا فوراً كما يباشر الكاتب اصلاح بعض اغلاطه وقال لكاتبه : (خذ القرآن وصبغاً بخالف لون المداد فاذا رأيتني فتحت شفتي بالحرف فانقط نقطة فوق الحرف واذا كسرتها فانقط واحدة تحته ، واذا ضممتها فانقط نقطة بين يدي الحرف بهذا الكلام) واخذ يقرأ والكاتب يضع النقط بآخر كما امره حتى اصرب القرآن على هذا النمط ، واخذ الناس عنه هذه الطريقة او السنه ولكن قلما كانوا يالفونها كما هي الحالة اليوم .

ولو راعينا الحقيقة الواضحة في هذا التدارك ، لوجدنا هذه النقط التي اضيفت الى حرف القرآن لاجل حفظه من اللحن ، هي كافية لنا بان نخذها حجة لدفع اعتراض كل من يهاجمنا من هذه الناحية من جهة ، ومن جهة

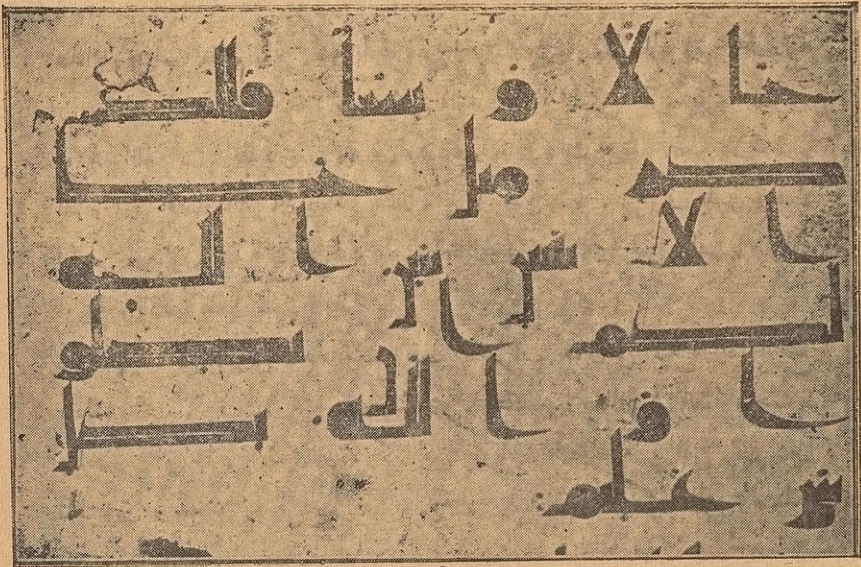
(١) ادرك زياد بن ابيه بان لا بد من موجب يدفع الدؤلي الى ما يريد منه فامر احدهم بان تعمد اللحن في قراءة القرآن حينما يمر ابو الاسود عائداً الى داره . ولما لم يجب وعاد من حيث أتى سمع المتعمد اللحن يقرأ « ان الله بري من المشتركين ورسوله » بكسر اللام . فاعظم ذلك ابو الاسود وقال عز وجه الله ان يبرأ من رسوله . وقفل راجعاً الى زياد وقال له ابني كاتباً فقد اجبتك الى ما سألت فبعث اليه ثلاثين كاتباً فاختار منهم واحداً وباشر في عمله . فانصف ايها الاديب .

ثانية ، لنا نحن ان نحج المعارضين في واضعها وذلك لان هذه القاعدة
 أساسية في تقييد الحرف ، وضعها عالم لغوي راعى بها اللغة فقط ولم يضعها
 عالم بالكتابة او الصناعة ، مثلا ليراعى بها السهولة في استعمالها فتستعمل .
 واليك هذه الصفحة من مصحف كتب في القرن الثاني للهجرة شكل (١٤)

شكل (١٤)



بعد ان تحسن الخط في العرب وهي خالية من نقط الاعراب . وهذا مما يدل على نفرة العرب من استعمال النقط التي وضعت حتى انهم لم يستعملوها في القرآن حينذاك وتليها صفحة ثانية مشكولة على طريقة ابي الاسود الدؤلي بالنقط الحمراء كتبت في القرن الثالث للهجرة شكل (١٥) فانظر الى هذا التطور الظاهر في الحرف .



شكل (١٥)

الاعجام يضاف الى حرف القرآن سنة ٨٠ هـ

دولة امية اشد العرب تمسكاً للعربية بعد الراشدين ومع هذا لم تستطع امية دفع تيار المعجمة لا بتشكيل القرآن ولا بالاعجام ، وذلك لان المرض مثلاً اذا اشتد في امة من الامم ، يحتاج الى تسهيل طرق المداوات لاجل الاستئصال ، وهذا مما لم تستطعه امية في عصرها . فسواء كان الشكل الذي وضعته لتقييد الحرف حينذاك ، او الاعجام الذي وضعته لتمييز الاحرف عن

يستطيعوا اصلاحه .

« ابدال نقط الاعراب بالشكل الحاضر هذا في عهد المأمون ، تنافست الكتاب في عهد المأمون بتجديد الخط العربي ، كما تنافست رجالات العرب حينذاك بالفلسفة والعلم والادب ، فابدل الخليل بن احمد الفراهيدي نقط الاعراب التي وضعها الدؤلي بالشكل الحاضر هذا ، وابقى نقط الاعراب كما كانت عليه سابقاً تفرقاً بينهما بالشكل لا بالمداد لاجل السهيل على الكاتب . قصار بالمستطاع ان يكتب الكاتب بلون واحد من المداد بعد ان كان يكتب بثلاثة الوان او اربعة كما رأيت ، وهذه قضية وان كانت بسيطة جداً بعد احداثها ، غير انها كبيرة جداً بذات الوقت كما يدرك ذلك القاري الكريم . فنضيفها ايضاً الى ادلتنا السابقة ، وحججتنا في ذلك ، هي ان حركة الاعراب في اللغة العربية كادت ان تكون كالحرف الصوتية من اللغات الغربية ، فابدالها بشكل اخر كما رأيت ، هو عبارة عن ابدال حرف بحرف آخر .

ولينظر الاديب الى هذه القطعة شكل (١٦) وقد كتبت في القرن الثاني او الثالث للهجرة فيرى الشكل او نقط الاعراب المخالفة عما رآه في الشكل السابق ، وهي غريبة من نوعها لجمها بين طريقة الدؤلي ذات النقط الكبيرة الحمراء ، وطريقة الخليل بن احمد الظاهرة فيه وهي الشكل الحاضر هذا كما تراه .

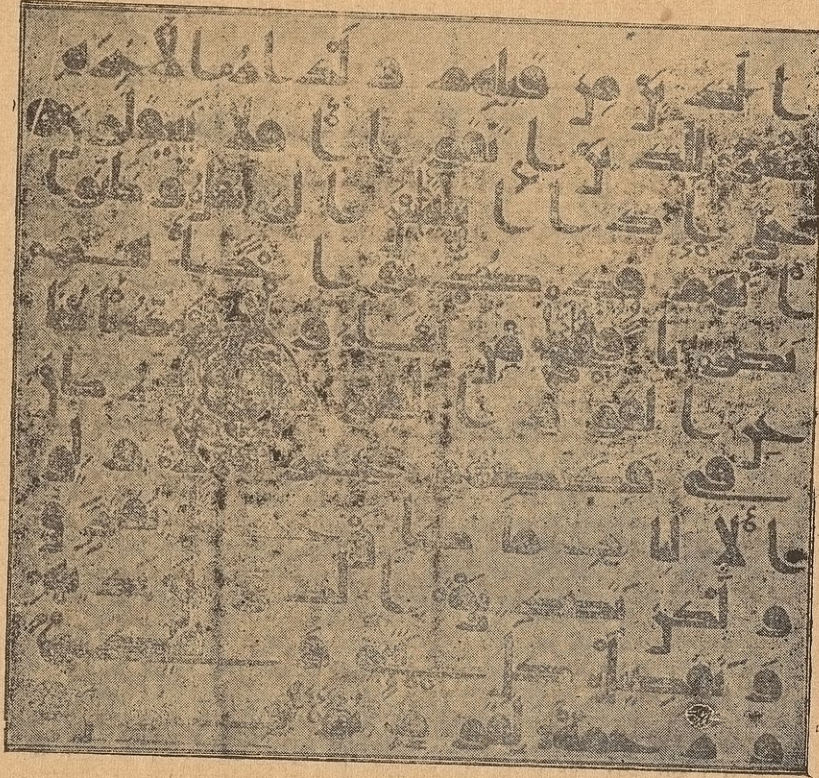
بعضها فيما بعد ، كان غير مرغوب فيها لسببين . وهما صعوبة استعمالها لكثرة النقط من جهة ولاختلاف المداد عن بعضه من جهة ثانية . ولذلك قلما استعملت العرب الشكل او الاعجام الا بعد حين .

فالامويون بدلا من ان يصلحوا الحرف في الاساس ، نراهم يقدمون على الخطأ الثاني باعجام الحرف وزيادة نقطه على ما في الحرف من نقط الاعراب . فاصبحت الكتابة نقطاً فوق نقط وكل هذا لحفظ اللغة من اللحن فانظر الى هذا الاهتمام العظيم . ففي عهد الخليفة عبد الملك امر والي العراق الحمجاج بن يوسف نصر بن عاصم الليثي ويحيى العدواني وهما عن قرأ على الدؤلي قواعد اللغة ، ليفرقا بين الاحرف المتشابهة فأتما ذلك بوضع نقط الاعجام بصيغ آخر فصار القرآن يكتب بثلاثة الوان من المداد . الحرف بلون ونقط الاعراب بلون ، ونقط الاعجام بلون آخر ايضاً وفي الاندلس كانت الالوان اربعة بزيادة نقطة الهمزة فانظر .

فكما قلنا في الدؤلي عندما وضع نقط الاعراب نقول في تليذه ايضاً بوضع نقط الاعجام . وذلك لانهما ما خرجا عن كونهما عالمان في اللغة وحسب وللصناعة اربابها ، ولاستطاعا لو كانا من ارباب الصناعة والفن ان يميزا الحروف بعضها عن بعض بطريقة صالحة لا بهذه النقط الكثيرة التي وضعها عبثة في سبيلنا .

كما واننا لنا حاجتنا من الناحية الثانية اي اضافة هذه النقط الى الاحرف العربية التي كانت خالية منها ، وذلك لان الضرورة التي دفعتهم الى احداث ذلك هي نفسها التي تدفعنا الى ما يرفع الضرر فلو قلنا نحن مثلاً تميز هذه الاحرف المتشابهة بغير هذه النقط التي لا تصلح ، لا نكون من المخالفين او الشاذين .

فالعرب اجتازت بقرن واحد خمس مراحل كما رأيت ، من البداوة الى الحضارة ، الى القراءة والكتابة ، الى وضع القواعد ، الى تشكيل القرآن ، الى اعجام الحرف . وانما في كل مرحلة كانوا يتأخرون من هذه الناحية شوطاً واسعاً الى الوراء ، وذلك ناشئ من خلل الحرف الذي استعملوه ولم



شكل (١٦)

« قلم الديوان يتحول الى النسخي ويكتب به القرآن في القرن الرابع »

وما استرسلت الدولة العباسية منذ عهد المعتصم وابنه الواثق الى الترف والاكثار من المماليك الذين يعدون بعشرات آلاف ، وما تشاغلوا عن ادارة الدولة الواسعة الاطراف ، الا وبدأت في اواسط القرن الثالث ظواهر استقلال الولاة والامراء في تلك الاطراف النائية ، مزيجاً من عرب وعجم وغيرهم واخيراً في دور انحطاط الدولة العباسية في اوائل القرن الرابع للهجرة ، وزر ابن مقله لثلاثة من الحلفاء العباسيين وهم المقتدر ، والقاهر ، والراضي فانشأ الوزير بن مقله هذا ، الخط النسخي الحاضر ، على اساس الخط النبطي

والكوفي وادخله في دواوين الخلافة بدلاً منه . وهذا الانقلاب الكبير في القلم العربي سواء كان بالحرف أو بالأصابع والاعجام لا يترك مجالاً ما للاعتراض ، بل لا يترك باباً ما يدخل منه المعارضون .

« تفرع الأقلام أو تغيير شكل الخطوط »

تفرع الخط العربي في أواخر الدولة الأموية وأوائل الدولة العباسية إلى أربعة أقلام ، اشتق بعضها من بعض كاتب اسمه قطبة ، كان يكتب لامية المصاحف وهو أول من بدء بتحويل الخط الكوفي إلى النسخي . ثم اشتهر بعده الضحاك بن عجلان فزاد على قطبة ثم زاد اسحق بن حمادة وغيره ، فبليت الأقلام العربية إلى أوائل الدولة العباسية اثنا عشر قلماً (١) ، وفي أيام المأمون تنافست الكتاب كثيراً في تجويد الخط ، فحدث القلم المرصع وقلم النساخ ، والآسي ، والرقاع ، وقلم الحلية ، فزادت على العشرين وكلها تعد من الكوفي .

ثم تفرع الخط النسخي أيضاً بتوالي الأيام إلى فروع كثيرة كما تفرع الكوفي قبله واشتغل بتحويله كثير من الكتاب كآب البواب وابن مقلة كما رأيت وغيرها من المجيدين وصارت الأقلام الرئيسية في اللغة العربية الكوفي والنسخي ، بعد أن كانت الحيرة ، والنبطي وهي الأصل ، وصار لكل منهما فروع كثيرة .

وقد اشتهر للقلم النسخي بعد القرن السابع للهجرة ستة فروع (٢) ثم ازدادت أيضاً بعد ذلك كثيراً وقد ذكر صاحب صبح الأعشى منها ما تضيق به مثل هذه الكلمة ، نخص منها القلم المسلسل الذي كانت كل حروفه متصلة ببعضها . ومعنى تعداد كل هذه الأقلام هو أنه يختص كل فرع منها في عمل أو ديوان كما هي الحالة اليوم في بعضها . فقلم الطومار مثلاً هذا الذي ذكره

- (١) وهي : قلم الجليل ، السجلات ، الديباج ، اسطومار ، الثلاثين ، الزنبور ، المفتح ، المدمرات ، المهود ، القصص ، الحرفاج ، الحرم .
- (٢) وهي : الثلث ، النسخي ، التعليقي ، الریحاني ، المحقق ، الرقاع .

صاحب صبح الاعشي وهو فرع من النسخي كان يستعمل خصيصاً لتوقيع الخلفاء على التقاليد ، والكتابة به منهم الى السلاطين . وقلم الثلاثين ، كان للكتابة به عن الخلفاء الى الامراء والعمال . فانظر الى هذا التمييز والتفريق او الاكثار واحفظ ذلك جيداً ايها الاديب لتكون عوناً لنا في ايجاد حرف يفيد ضمناً الى هذه الاقلام الكثيرة . اذا لم نقل بدلاً منها .

✽ انتقال الخلافة من العرب في غفلة العرب وانتهاء التطور في الحرف ✽

✽ ولحظة بعد ذلك فيما يتعلق بالحرف حتى اليوم ✽

وفي اواسط القرن الخامس للهجرة كانت طائفة من الملوك المستقلة في طول البلاد وعرضها خليطة من عرب وفرس وترك وكرد ، كما ان الخلافة اصبحت تحت سلطة الفرس تارة والترك اخرى . وقد بدأت البلاغة العربية تتلاشي في الاقلام كما تلاشت على اللسنة ، وحلت اساليب الاطاحم محل اساليب قتيان قريش ، وهكذا وبنا للأسف كانت اقامة فتاة العروبة في ضيافة الحضارة سنيماً معدودة وفارقتها بعد ذلك فراقاً ابدياً ولعلها بعد هذا الاصلاح ان تعود .

وعلى هذا النزاع . والاقسام ما كادت تمر اواسط القرن السابع للهجرة الا وضربت الخلافة في بغداد ضربة قاضية اصابها منها الكبد بدخول ذلك السفاح التتري هولاكو عاصمة العباسيين وقضائه عليها وعلى الادب العربي حينذاك وقد انتقلت الخلافة الروحية بعد حين الى مصر . وهكذا تتابعت الغارات السياسية والدينية على هذا الشرق فتأسست دول كثيرة العدد قصيرة المدد وكانت اللغة العربية متعلقة باحبابها حيث كانوا بين صعود وهبوط الى ان استقر الامر اخيراً للعثمانيين في اوائل القرن العاشر في بلاد العرب وانتقلت الخلافة العربية الى رجل ليس من العرب .

✽ العثمانيون ✽

فالعثمانيون الذين قاموا على انقاض السلاطنة في الانضول او رفعوا لواء

السيف طالياً حينذاك ، والذين جعلوا الغرب شطر وجوههم قبل ان امتدت ايديهم الى الخلافة والشرق ، وكان لهم من الملك ما ارادوا ، والذين تبادوا في اعمالهم دون نشر لواء العلم مع السيف حتى انجلوا في النهاية عما ملكت ايديهم ، كانوا ممن قضوا على اللغة العربية بقيام سلطانهم دون حياتها من جهة ولانهم من اشد المتمسكين بالقانون الديني الذي اخطأوا تأويله من جهة اخرى فالمشيخة الاسلامية التي انشأتها الاتراك لاصدار الفتوى والعمل باحكام الدين ، كثيراً ما كانت تذهب بعيداً في تفسير القرآن والحديث وتخالف روح الدين الاسلامي باحكامها وان كان ذلك عن غير قصد . ومتى علمنا بان قضائها كانت تصرف باحكام الدين وتفسرها حسب اجتهادها وتحكم بالغريب منها ادر كنا غلوهم الغريب بالدين ، وتصورنا تأويلهم الكتاب او تمسكهم بما يخالف روحه (١)

فالدولة العثمانية القريبة العهد منا لا يختلف اثنان منا في تاخرها العلمي لا سيما فيما يتعلق بالحرف وشكله ، وذلك لان عصرها وموقعها الجغرافي يساعدها كثيراً على ان تكون ارقى علماً ومدنية ممن سبقها من دول العرب لانها هي الدولة الوحيدة التي عاشت كثيراً وعاصرت الطباعة منذ انتشارها بخلاف من سبقها من دول المسلمين ، ولكن باستطاعتها ان تجعل الحرف العربي هذا حرفاً مطبعياً كاملاً لا يتبدل شكلاً ولا لفظاً في حين ان الطباعة التي انتشرت في اوربا منذ خمسة قروناً تقريباً لم يستعملها الاتراك الا منذ قرنين ونصف . ولم تشأ ان تصدر المشيخة الاسلامية الفتوى بجواز استعمالها حينذاك ، الا بعد ان اخذت دوراً كبيراً استغرق بضع سنين . ورغماً عن هذا فعوض ان تهتم الاتراك في الطباعة الحديثة التي كانت بغاية الافتقار اليها وتعزز اقليمها المعدنية لنشر المعارف فيها ، كانت بعكس ذلك منصرفه

(١) وقع لاحد قضاة العثمانيين في عهد السلطان مراد الاول ، بان رفض شهادة السلطان نفسه قائلاً ، ان السلطان الذي لا يحضر الصلاة الجامعة لا قبل شهادته . فانظر . فهل في الكتاب والحديث شيء من هذا ؟ او هل يجوز الكتاب ضياع الحق ؟ (فلسفة التاريخ لجميل بيهم)

الى زيادة اقلام القصب على ما فيها من اقلام فوضعت بضعة اقلام معروفة
لا حاجة الى ذكرها هنا .

❦ واخيراً ❦

واخيراً كانت الحرب الدولية الكبرى وكانت احوال وكان انتهاء اسفر
عن تغير وجه الخارطة في العالم لا سيما في هذا الشرق الذي انشقت فيه بلاد
العرب عن الاتراك وانما متفرقة الى بضع دول مرغمة
على امرها شأن الضيف مع القوي في كل حين . وها هي ما زالت على
سنتها القديمة في حرفها وفي كل شيء ، لو لا انها انتهت اخيراً من سماتها
الطويل وباشرت بعض اعمالها كما يعلم الاديب ، وانما الضيف الالهزل لا
يدلة من احداث طريق قويم ، يوسع فيه الخطى الى غاية معلومة ، ليؤمن على
استقلاله بعد ان لقي من الامر ما لقي وبغير ذلك لا يأمن من التقلبات وهذا
ما نتطرق اليه .

❦ نهضة الترك الاخيرة واستعمالهم غير حرف العرب ❦

فالترك الذين خسروا في غفلتهم الماضية ما خسروه ، والذين قلب لهم
عاهلهم ظهر المحن اخيراً وارغمهم على ترك جميع تقاليدهم التي ادت بهم الى تلك
النتيجة التي تعرفها ايها الاديب ، لقد كان لآهلابهم الاخير هذا دوي هائل
شبيه بانفجار لما احده الغازي بما لا نحتاج معه الى ايضاح .

وبما احده ابدال حرف العرب هذا بحرف اللاتين وهي اول بادرة او
اول خسارة حصلت من هذا النوع للعرب ، ولربما كانت الترك قدوة لغيرهم
من مستعمليه ، ولهذا هو الامر الذي نخشاه ونحذره اذا لم يتدأوك هذا
الحرف اصحابه العرب سريعاً .

في حين ان العرب الذين انفصلوا عن الترك اخيراً لو قدر عليهم عدم
الانفصال مثلاً لكان حرفهم الحاضر هذا الذي يتصبون له في خبر كان ،
ولما خسرت العرب الترك في استعماله لو كان حرفاً قوياً سهلاً ، وهذا مما
سنعود اليه لا سيما وقد انتهينا من تطور الحرف في العرب كما انتهينا من كل
تطورات كما رأيت .

كلمة في تطور الحرف قبل الدخول في الاصلاح

فيرى الاديب بان الحرف الذي جاء من الانباط فالارام فالفنيق ، او الذي جاء من الحيرة فالين فالارام كما مر ، ما زال كما كان في الفنيق من حيث تكوينه في هجائه ، رغم تطوره الكبير في شكله . وحرف القرآن بالاختصاص هو اقرب من هذه الناحية ناحية الهجاء الى حرف الفنيق ، من كل حرف تفرع من حرف الفنيق ، وهذا مما سيظهر بعد ان يظهر اصلاحنا الى حيز الوجود ونستطيع ان نقول بشكل جلي واضح .

فتطور الحرف في شكله ظاهر للعيان لا يحتاج الى قول ما وقد رأيت ذلك في الرسوم التي ائبناها في هذا البيان وجلها مأخوذة عن الجامعة المصرية لكيلا يكون فيها محل للشك . وانما الحرف يحتاج الى تعليل ذلك فيه ، بعد ان اوردنا شيئاً من تاريخه كما رأيت ، وقرأت عن العرب ما تعرفه عن العرب من البلاغة والفصاحة في بداوتهم ، وبعدهم عن الصناعة في حضارتهم ، لا سيما عن الرسم والتصوير هذا الذي لم يدخل العرب باباً له ، رغم انهم ملثوا الدنيا ادبا وعلماء وامتازوا في كل شيء فيها فاقول : من المعلوم بان الحضارة تسوء الى الانسان في لغته لا من حيث صيغ الكلام ، بل من حيث ضبط اللغة وذلك لان اللغة ملكة على اللسان والانسان في اختلاطه بغيره تضعف فيه هذه الملكة ، وبالعكس ذلك البداوة ، فالبداءة تحسن الى الانسان في لغته لعدم الاختلاط ، وانما تسوء اليه في صناعته لانها من الاعمال التي يحتاج فيها الانسان الى الاختلاط كما ادرك الاديب ذلك من قولنا في الحضارة سابقاً .

هذا من حيث شكل الحرف قبل ان يصل الحرف الى العرب وقبل ان يتطور في العرب ، وقد رأيت ذلك ظاهراً في الرسوم التي ائبناها في محلها . واما من حيث تقييده بالشكل وتمييزه بالاعجام وتطوره في العرب ، فهو لسبيين فالاول قد عرفته وعرفت بان العرب قد امتازوا في كل شيء قديماً الا بالرسم والتصوير وما زالوا كذلك حتى الان لا رغبة لهم فيه نسبة للغربيين هؤلاء الذين امتازوا بشكل حرقهم منذ القديم لهذا السبب .

واما السبب الثاني ، فهو لان الحركة غير الحرف من جهة ، ولان حرف العرب وصل الى العرب متصلا بخلاف حرف اللاتين هذا الذي وصل الى اللاتين منفصلا ومتصلا وبقي فيهم كذلك حتى الان . ولو رجعنا الى الحرف من حيث لفظه وتقييد صوته ، لوجدنا العرب اقرب الى الصواب من اللاتين في تقييدهم للحرف لو لا ان حرف العرب يخالف للصناعة والمطبعة ، وانه صعب في استعماله ، فهو بخلاف حرف اللاتين من هذه الناحية كما مر بالقاري الكريم .

فالذي اريد قوله بان العرب وان قيدوا حرفهم بهذا الشكل الذي نراه ، غير انهم كانوا مرغمين على امرهم لاتصال الحرف من جهة ولان الحركة غير الحرف فهي تابعة له لا مثله ، فيجب الا تدخل في سلب الكلمة كسائر الحروف . ولربما يستقرب الاديب قولنا هذا الذي يحتاج الى اثبات فاقول له ، هذا حق وانما كل شيء في حينه وهذا بما سنصل اليه بعد ظهور مشرووعنا الى حيز الوجود انشاء الله .

وانما الذي توأخذ عليه العرب ، هو ان اللغة العربية معربة بخلاف سائر اللغات وفصيحة تكثر فيها الحركة ايضا بخلاف اللغات ، فيعلمهم هذا الذي لم يرغب فيه فيستعمل لا اولاً ولا اخيراً ، خسرت اللغة فصاحتها واعرابها بأن واحد . ولو لم يحفظ العربية القرآن الكريم ، او لو لم تهتم العرب به ، لاصابها ما اصاب سائر اللغات ، ولكانت العرب من العربية ، كالسريان من الارامية .

فالعرب يوآخذون ، لا لانهم لم يهتموا بالحرف ، بل لانهم لم يستطيعوا تقييده وضبطه حينئذ بكشكل يرغب فيه مع ما بلغت اليه العرب من العظمة والسؤدد ، والمدنية التي لم تبلغها امة ما قبلهم من الامم .

ولو اردنا تعليل ذلك من جهة ثانية ، لوجدنا العرب في صدر الاسلام وفيما بعد رغم انهم لم يعبأوا بالرسم والصناعة او ما اشبه ذلك من الاعمال التي لم يفتروا عليها ، فانهم كثيراً ما لم يأتوا عملاً لم يأمر به سيد العرب ويرشداه اليه . ولذلك ظل معظمهم امياً بعملة الحرف هذا وتأوله او سوء

تسمية وصعوبة فهمه ، حتى بعض الخلفاء منهم لم يحسنوه لهذا السبب . فلا يستغرب من العرب اذا لم يحسنوا عملاً لم يأتيه الرسول او لم يأمر به ، في حين انه صلى الله عليه وسلم ، ما كان يرشدكم الى ما يعلمه ، وقد اشار على بعضهم بان لا تلقحوا النخيل ، ولما لم يثمر ، قال انتم اخبر مني في امور دنياكم . وهذا اكبر دليل على عدم استشاره بما لم يعلم شأن المصالح الاعظم . فقد كان يترك ما لا يعرفه الى من يعرفه من المسلمين .

فسيد العرب ما كان يرشدكم الى ما لم يعلمه من علة الحرف وهو الامي الذي لا يقرأ ويكتب ، وانما حضهم على طلب العلم كثيرا حتى قال « تعلم العلم من المهد الى اللحد » و « اطلبوا العلم ولو في الصين » وقد لحن احدهم مرة في حضرته فقال « ارشدوا اخاكم لقد ضل ، فما قول الاديب بعد هذا ؟

خرف العرب هذا يتأول كثيراً ، ولغة العرب كادت ان تلتحق . فقد جمع الخليل بن احمد في كتاب العين ما يزيد عن اثني عشر مليوناً وثلاثمائة الف كلمة للعرب ، فكيف تريد ان تحسنها او تنطق فصيحاً اذا لم يسهل ذلك عليك ؟ واما ان العرب او بعض العرب كان يقرأ العربية حينئذ ، فبملكة اللغة لا اكثر ، كما نقرأها نحن اليوم بتأثير المادة فينا ولكن هل ان قراءتنا صحيحة يا ترى ؟ كلا .

فالدولي اعرب القرآن على صفحات القرآن ، فكانه ضبط قراءة القرآن وحدها وهو كل ما اراده الدولي ، فصار ذلك سنة عنه في ضبط اللغة ، ودليالك على ذلك انه استعمل النقط بدلا من الحركة وهي اضعف الاشارة الى ما يريد الانسان وكأني به رحمه الله يقول : وضعتها صيانة لكلام الله في صدر الاسلام ، لا لاجل ان تحتفظوا فيها احتفاظكم بالشعور دون اللباب ، فلكل عصر رجال ولكل زمن اعمال فخذوا بدلا منها لانفسكم ما يلائمكم ويلائم زمانكم ، على ان تحافظوا على لغة القرآن ما استطعتم فانما وضعت لاجلها .

او ما ترى في القرآن حتى الان اختلافا في القراءة احيانا بين
حرفي الياء والناء مثلا لالتباسهما ببعضهما شكلا قبل ان يعجم الحرف
وجواز تأولهما في قراءة بعض الكلمات ، وهكذا ايضا في اعراب آي
الكتاب ، لتأخر العرب في جمعه كما تعلم هذا علاوة عن القراءات
المختلفة التي اقرتها الامة . في حين ان الاصل واحد سواء كان ذلك
في الحرف او الاعراب . اترى لو حصل مثل هذا في عهد الرسول
او ما كان يأمر باصلاح الحرف في كل نواحيه اذا امكن ذلك كما
امر بطلب العلم مثلا وهو القائل : علموا ويسروا وبشروا ولا تنفروا ،
الحديث ؟ فاترك الجواب في هذا الى كل نبيل اديب .

فابوا الاسود الدؤلي في عصره ذلك او محيطه ، كان عمله كبيرا
يشكر عليه وانما من جاء بعده او جاء واعجبا الحرف كما رأى
الاديب ، كان عليهما ان يرفقا باللغة اكثر مما عملا ، ويجهدا النفس
اكتر مما اجهداها ليحسنا الى اللغة باحسنهما الصناعة ولو قليلا ،
وانما هذان ايضا ارادا ان يحسنا ولكن ما استطاعا .

وهكذا كان ايضا في عصر المأمون عصر العلم والادب ، والفلسفة
والنبوغ ، في العصر الذي تبارى الكتاب فيه وبلغوا من الاجادة وتحسين
الخط مبلغا لم يبلغه احد ممن سبقهم من حملة الاقلام . ومع هذا
كل ما اتوه هو كل ما رأته ، فهم من هذه الناحية ناحية الحرف
وتقييده في حل من امرهم ، وانما العجز وحده ، هو الذي كان
يحول بينهم وبين ما يشتهون .

واي دليل لنا اعظم من امتناع العرب عن الحركة منذ القديم
حتى اليوم على نقرة العرب منها ؟ بل اي دليل لنا اعظم من هذا على
تأخر العرب في الصناعة من هذه الناحية ، وميلهم الشديد الى ضبط
لسانهم بذات الوقت مع ما كانوا يلاقونه من الصعاب في سبيلهم الى ذلك .
فهذا الاهتمام الذي كان يظهر في العرب بين كل آونة واخرى ليس دليلا على
تطور شكل الحرف في العرب كما تطور في الارام مثلا بل دليلا على
اهتمام العرب بتقييد حروفهم حفظا للغة ، وانما ما استطاعوا ذلك . ما

استطاعوا ان يدخلوا الحركة في صلب الكلمة ليسهل عليهم استعمالها مع المحافظة على التفريق بينها وبين الحرف لاختلافها عنه ، ولهم عذوهم في ذلك وهذا ما لم تستطعه امة من الائم .

والوزير ابن مقلة كان اكثر ممن سبقه تصرفا في شكل الحرف كما رأيت ولامكنه ان يدخل الحركة في صلب الكلمة كما فعلنا نحن ، مع تفريقها عن الحرف ، وانما لم يقدر الله له ذلك ايضا ولا اعتراض على مشيئته . فالانسان مقيد بزمانه في كل اعماله ايها الاديب ولهذا هو شأن التطور والارتقار في الحياة منذ القدم .

فترى بان الذين يعزى اليهم تطور الحرف هذا الذي اتهمنا منه ، سواء كان في تقييده او اعجابه او شكله ، قد اجاد كل منهم عمن سبقه من المصلحين ، وكل منهم معذور في عمله وقد ذكرنا اسباب ذلك وانما بعد ظهور الطباعة الى حيز الوجود لم يعد لمن لم يعمل بها ، ويخدم اللغة او العلم عذرا ما لتسهيل المطبعة كل ما ينتقيه الانسان في سبيل العلم .

وانما شأت الاقدار ان تحكم الترك العرب ، وان تمنتك الترك بتقاليد العرب ، فلا تصلح نقصا في حرف العرب ، ولم تات عملا لم يأت العرب بين ان العرب لم يكن هنالك من مانع يمنهم عن خدمة اللغة من هذه الناحية حينذاك ، غير المعجز والعصر . المعجز عن تقييد حرفهم تقييدا صالحا كما مر بك ، وانما كان عجزهم هذا قبل الطباعة هذه التي لم يدركها العرب ، هذه التي سهلت الاعمال على الانسان كثيرا ورأيت فوائدها في الكون جميعه . اترى لو ظهرت الطباعة هذه في عهد العرب سواء كان ذلك في فجر الاسلام ام في مسانه ، اذا لم نقل في عصر المأمون عصر نقل العلوم ، اد حجت العرب عن استعمالها او ترددت ؟ او انها لم تستعن بها على تقييد الحرف بدلا من الاشارة هذه ؟ لا اظنك بعد ان صرفت اهتمام العرب في لغتهم ان تقول لا ، لاسيا والعرب تعلم ما قاله سيد العرب « الحكمة ضالة المؤمن حيث وجدها التقطها »

فالعصر الاخيرة هذه التي اجتاحتها الاتراك ، دون ان تعمل
لتسهيل الحرف فيها ، لهي الاعصار التي امتاز الغرب فيها عن الشرق
وسبقنا فيها شوطاً واسعاً بعد ان كنا نحن السابقون ، ولان رجعت
الى التاريخ قليلاً كمدقق خبير ، لتجدن النهضة الغربية الحديثة هذه
هذه النهضة العظيمة الشاملة ، تبدأ بابتداء الطباعة في الغرب ، ولهذه التي
سهلت العلم فيه وارثك الغرب كما تراه اليوم .

وانما الان اذا اردنا الانصاف والقول الحق ، فنحن المقصرون
والمؤخذون على هذا الاهال ، لا الاولون ولا من جاء بعدهم ،
لا سيما وقد تبدل كل شيء وتغيرت الايام كثيراً . فهاهم الاتراك بعد
انفصالهم وانفصالنا ، ما لبثوا ان غيروا احرفهم بغيرها ، وما تركوا
هذا الحرف الا لتأوله وصعوبة استعماله ، على اننا نحن احوج منهم الى
تقييد كلامنا كما يعلم ذلك كل من يحسن اللغة التركية رغم ان العربية
لغة القرآن . فالتركية نسبة الى لغة العرب الحاضرة ، هي
كنسبة العربية في عهد امية الى العامية الحاضرة الان من حيث
ضبط قواعدها ، في حين اننا نحن العرب اليوم ، ما زلنا نعمل بهذا
الحرف المتأول دون اي اهتمام فيه ، على ان الحرف من العلم اساسه بل حصنه
والعلم من الرجل دماغه بل حياته ، لا كما يظن بعضهم بانه عمل تنوي ،
وفي البلاد ما هو الزم منه الان . فهذا غير الواقع ، بل بعيد عن الواقع
كثيراً لان الحرف عمل اساسي يشيد عليه قبل البناء ، رغم انه لكل
دولة رجالها ، ولكل عمل رجال . فالقيادة غير الادارة مثلاً كما ان
السياسة غير الصناعة والفن ، والاعمال اذا توزعت ، دلت على الدولة
وادواتها وبمعكس ذلك فيما اذا تأخرت او استؤثر فيها ، لا سيما ولا شيء
يوجب التأخر او الاهمال الا اذا كان هنالك شيء من الاهمال .

فالحرف بلا نزاع هو سر نجاح الغرب اخيراً كما رأيت وبلاد
العرب في اشد الحاجة الى اصلاحه قبل اي اصلاح فيها ، لافتقارها
الشديد الى الرجال ولا كما يعرف ذلك كل منا . والامة التي تتمناها ،

هي في رجالاتها لا في اقوالها ابداء ، والبلاد التي لا تكثر فيها العلماء لا تقوى على اعمالها ابداء ، ولا يكون لها ما تريده . وهذا مما يوجب اصلاح الحرف قبل اي اصلاح على الاطلاق لتدارك هذا النقص في البلاد . ولا عذر يوجب التأخير بعد اليوم لا سيما وقد قرأ الاديب ما نقوله عن هذا الاصلاح الذي نتمهد اليه ، ولما يعرف عن موقف العرب وحالتهم الحاضرة ، هذه التي لا بد من كلمة فيها ايضاً تنبيها للبحث واجبا له ، لنذكر بعد ذلك ما تحتاجه العرب او ما تصبو اليه ، فابتدأ بالاولى منها اي بحالة العرب الحاضرة فاقول :

المرحلة الثالثة

حالة العرب الحاضرة وما تحتاج اليه العرب

حالة العرب الحاضرة

العرب اليوم كما لا يخفى دول كثيرة متفرقة بعد ان كانت واحدة عظيمة في الامس ، غير ان التفرق هذا لا يضرهم ، فيما اذا وحدوا النهضة العلمية شيل الاستيلاء ، وان لم يكن هنالك من وحدة واتفاق الا فيها وحدها لكفى ، بل حالتهم هذه على ما هم عليه الان . هي خير لهم من حيث الادارة الداخلية والنهضة الحقبة ، من ان يكونوا دولة واحدة كما كانوا قبلاً ، ولهذا التي تمهد الى ما يصبون اليه ، اللهم اذا جدوا وتابروا ولا عذر لهم في ذلك ابداء ، وانما الذين يعذرون فهم هم الذين يأترون بامر مستعمرهم ، وهم القسم الاكثر عدداً والاعظم مصابا وخطباً ، على ان هؤلاء ايضاً لا يعدمون وسيلة الى ذلك والنهضة العلمية الحرة لا يقف في سبيلها حاجز ما ، ولا في العالم المتمدن من يمنع ذلك مهما اختلفت الاوضاع السياسية وتنوعت .

ولان احصينا العرب وحدهم الفيئام يبلغون السنين مليوناً او نحوها

وهو العدد الذي لا يستهان به فيما اذا تثقف وتيقظ، وجمته الجامعة العلمية كما تجمع اللغة، وهذا ما عدا الذين يستعملون حرف العرب ويعدون بالماآت لا بالعشرات من الملايين . اولئك الذين تجمعنا بهم رابطة الحرف وغم اختلاف اللغة والجسمية وغيرها . ورابطة الحرف هذه هي التي نأمل ان تدعمها قبل ان تنهار انهار اخواتها قبل او لا يخفى ما في ذلك من الفوائد ، وبإغفالها من المضار .

❦ لغة العرب أو لهجتها واختلافها عن بعضها ❦

فالعرب اليوم تجمعهم جامعة اللغة الفصحى وتربطهم رابطة الحرف ، على ان لغتهم هذه ، تختلف عن بعضها باختلاف الاقاليم كما يختلف الحرف ايضاً بتباعد الاقاليم نفسها . فالسوري مثلاً كاد الا يفهم حديث المغربي او يقرأ خطه وذلك لبعدهم اللهجة من بعضها من جهة ولعدم الاتصال من جهة اخرى ، فهو من هذه الناحية تجمعهم اليه الجامعة القومية او الدينية اكثر مما تجمعهم اليه لغة محيطه ، ونستطيع ان نقول بان العرب لو لا جامعة القرآن لتباعدوا اكثر مما هم عليه الان لغة ولهجة عملاً بناموس التطور ، ولكن الحرق اوسع مما هو عليه الان وهذا مما لا شك فيه ، وهكذا قل في سائر بلاد العرب التي تختلف عن بعضها باختلاف الاقاليم ، ولاختلاف البيئة في كل منها عن الاخر منذ القديم ، وهي حالة تنذر بسوء المصير لاسيما بعد هذا التفريق السياسي الاخير .

فالعرب تختلف كثيراً عن بعضها لتباعدها، كما تختلف كثيراً فيها الخاصة عن العامة ، حتى كادوا يكونون ! كما تختلف في كل شيء . فاللبناني مثلاً هو غير السوري في لغته وثقافته ، والمصري المثقف ، هو غير العامي في بلده والفرق بينهما عظيم . ولان اختلفت طبقات الامم عن بعضها ، غير انها لم تختلف اختلافها الكبير في العرب ، هذا الاختلاف البين في كل ما نلمسه فيهم ، باللهجة والقيافة والثقافة والعقيدة ، وفي كل الصفات . واسباب ذلك تباعد الاقاليم واختلاف البيئة من جهة ، وإهمال تنقيف العامة منهم من جهة اخرى . فالعربي من هذه الناحية ، باشد الحاجة الى توحيد ثقافته

وجمع كلمته لكي توجد منه الامة العربية التي يعرفها التاريخ . فهو والحالة هذه يحتاج الى سير سريع جداً ، لا سير اعتيادي كما تعلم ايها الاديب .

﴿ العربي في كل نواحيه ﴾

وثروة البلاد الطبيعية التي تتوقف عليها الحياة ، هي وان اختلفت ، عن بعضها اختلافاً بينياً متفاوت عن بعضه كثيراً ، غير ان الاهمال السائد فيها كاد ان يساوي بينها لو لم تمتد الى بعضها الايدي الاجنبية وتجعل منها ذهباً ، وهي وان تفاوتت عن بعضها انتاجاً او اختلفت عن بعضها ، غير انها كلها ذات خيرات وافرة لا تحتاج اصحابها الا الى العلم والايدي العاملة ، والعامل فيها مع الاسف جاهل وعينه رمداء . وصاحبه براء ولا يهديه .

وهكذا قل في انظمتهم وقوانينهم واداراتهم لا سيما مداوسهم وفي كل منها النقص ظاهر وكلها يحتاج الى الاصلاح كأنها سلسلة متصلة الحلقات .

واما العربي من حيث هو ، فهو ذكي كما عرفه التاريخ قديماً ، وعرفناه نحن حديثاً ، بعد ان درس او تشقف ، او تغرب وهاجر . فالعربي في مهجره مثلاً هو خير منه في بلده او محيطه ، وهذا برهان كبير على تأخر محيطه من جهة ، وعمق قرية العربي وذكائه من جهة اخرى .

فسرعان ما نراه يتحول الى مثل ما كان عليه في محيطه سواء كان مسقفاً او مهاجراً ، لتأثير المحيط عليه او الاكثرية الساحقة ، والمرء مرتبط بمحيطه كما تعلم ، والاكثرية هي المؤثرة القاهرة وحدها .

غير اننا لا نرى بعد قلبه هذا من حال الى حال ، استحالة تغيير المحيط كله من حيث هو ، لعلنا بان الطبائع التي نلصقها في العربي ، هي غير غربية فيه وانما اهماله طوال السنين هو الذي انتبها فيه وكانت شوكا لاذعا في بعضهم .

﴿ اللغة والمعاهد ﴾

اما اللغة التي هي بحثنا وهدفنا في كل ما نقوله ، هي كما ذكرنا شأنها في كل عصر وزمن متعلقة باصحابها حيث مالوا ، وهي اليوم خير منها في الماضي

القريب والفضل في بعض ذلك يرجع الى المعاهد الاجنبية في اكثر بلاد العرب ، هذه المعاهد التي لا يسعنا الا شكر مؤسسيها في احياء اللغة العربية ، ونشر الثقافة في بعض البلاد ، غير ان هذه المعاهد المختلفة التي ينشأ فيها رجال الفن ، لا اظنها ملائمة بعد الان اذا لم تتوحد فيها الدراسة والتربية والاخلاق والادب ، ولا اظنها فاعلة ذلك لتعذر عليها من جهة ولتقاعد اغنيائها عن سد هذا الفراغ من جهة اخرى ، وهذا مما يدعو الى التفكير وشحن الهمم في تأسيس المعاهد الكافية للبلاد ، لا سيما الابتدائية التي لا بد منها في نشر العلم وتعميمه .

✽ احزاب العرب الصالحة ✽

وهذه الاحزاب الكثيرة التي نشأت في بلاد العرب اخيراً ، هذه التي لا تعهدا العرب منذ عهد طويل ، لمي اكبر برهان على انتباه العرب بعد غفلتهم ، وهي حالة طبيعية في الائم تدل على اليقظة والانتباه ، ولهذا هي السبيل الوحيدة الى شحن الهمم ، ليعظم العربي في دنياه ، اللهم يشترط فيها اخلاص النية في العمل ، وتوحيد الهدف والغاية المثل ، وسواء بعد هذا ان يبدأ الانسان بخدمة نفسه فاهله فقومه ، او ان يبدأ بخدمة قومه فاهله نفسه ، فيما اذا كانت الغاية واحدة لا تنقص ولا تزيد . فلا عبرة لاختلاف الانسان عن الانسان في ارأئه واجتهاده ، لان ذلك طبع في الانسان ، وانما العبرة كلها في النية وحدها والاخلاص . فهذا التنازع والاختصاص او الاختلاف في الاراء ، لمو الذي يحسن الى المرء في عمله وخلقه وادبه ليسود في دنياه على من يخاصمه فيها ، ولنعم اليقظة هذه وانما يشترط فيها الاخلاص خشية التدخل كما يدرك ذلك النبيل . وهناك الطامة الكبرى .

ولكن يا ترى : اراينا مع وجود كل هذه الاحزاب في بلاد العرب حزباً واحداً منها يهتم في تعزيز لغة الضاد ؟ كلا . او في تعميم القراءة والكتابة في البلاد مثلاً ؟ كلا : او يسعى في تأسيس المعاهد العلمية المفيدة ؟ كلا . فهذا مما يدلنا على انها ما زالت فوضى وانهم اخطأوا المرمى مع تقديرنا لاعمالهم واحترامنا لاشخاصهم .

فنحن في حاجة الى اكثر مما يعملون ايها الاديـب ، في حاجة الى العلم الصحيح ، هذا الذي يعمل اخيراً كل شيء . فقد قال سيد العرب « خيركم خيركم لاهله » وقال « قل الحق وان كان مرا » .

فكل هذه الاحزاب على اختلافها ترمي الى غاية واحدة معلومة ، ولا سبيل الى ذلك الا عن طريق واحد معلوم . فهل يخطئ الجميع المرمى ؟ او ان السيادة تأتي عن غير طريق العلم كما يظنها البعض ؟ فلتصفح عن بعض هذه الاحزاب اذا تمتثل بقول القائلة .

« اوردها سعد وسعد مشتمل * ما هكذا توردد يا سعد الابل »

✽ اختلاف العرب في نزعاتها ✽

من العرب من يرتأي بالبريين ، ومنهم من يميز بين ذلك ، ومنهم من يتمسك بقديمه وهذا القسم القليل .

ولان رجعنا الى التاريخ وبحسنا فيه عن المدنية وتطورها في العالم ، لوجدنا الغرب وان اخذ اسس المدنية الاولى عن الشرق كما اخذ عنه حرفه ، وانما زاد فيها كثيراً كما تعلم قبل ان يرد وجهه وتعود الى الشرق شمسه ثانية بظهور الاسلام ، كما وانه ، وان اخذها ثانية عن العرب في نهضته الاخيرة هذه بعد ان احتك في العرب كما مر بك ، وانما هذه ايضاً غير التي كانت للعرب بعد الاسلام لما نقص منها وزاد كثيراً ، لتأثر المدنية باصحابها في كل امة تلازمها ودحا من الدهر .

فالذي اريد قوله بان العرب الان ولان احتاجوا الى الغربيين فيها ، وانما يجب ان تكون فيهم كما كانت في الغربيين بعد ان اخذوها عنهم اولاً وثانياً ، او كما كانت في العرب في عهد المأمون بعد ان اخذت العرب بعضها عن الغربيين ، لا ان نتشبه بهم في كل اعمالهم ، وهذا اقل ما يقال . ولان اردنا شيئاً من هذا فليكن بالجد والفضاضة والترتيب والنظام وحسب .

وانما من العدل والانصاف بل من المرؤة والشمم ان يسود العلم والمدنية العالم بأن واحد وقد آن لنا ان نفعل ذلك ، بعد ان بلغ الانسان من الرقي

ما بلغه . فالضعيف او الجاهل المتأخر من الاعم هو رغم انه مظلوم ومنفص في حياته ، هو ايضاً سبب كبير لتأخر المدنية شوطاً واسعاً الى الوراء ، لطمع القوي دائماً في الضعيف ، لما فطر الانسان عليه منذ القديم ، ولا بد له من عماله هذا ما عاش القوي قويا والضعيف ضعيفاً .

وبعكس ذلك فيما لو كان الضعيف راقياً يقرع الحجة بالحجة ، فيقول للطامع يا هذا انا مثلك في هذه الحياة .

فكفى هذا الشرع جموده الطويل ، فانما التبعة على المتأخر فيه ، هذا الذي لا يريد النهضه مع الناهضين . ليكون عشرة في سبيلهم ، او علة توجب الاهتمام به كما يقال .

ولا اظنني في حاجة الى اكثر مما ذكرت عن موقفنا الحاضر ، وكل منا يعلم ما يتقصه وما يتحلى به .

ما تحتاج اليه العرب

✽ او نظرة الى الامام فيما تحتاج اليه العرب ✽

لو نظرنا نظرة بعيدة الى الامام . بعد ان نذكر الانسان في ماضيه ونبحث في حاضره ، لتجلى لنا المصير باجلى وضوح ، ولتتحول اتجاه الضعيف عن تتبع اثر القوي ، بعد ان يدرك الغاية التي لا بد من الوصول اليها اخيراً فيسعى اليها تواء ، ولكن خيراً له ان يفعل لو تمنع قليلاً ، وانما سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلاً .

او لو نظرنا الى القوي ومعداته ، وتكافئه قوة وعلماً ورقياً ، ومن ثم الى اختلافه في هذه الحياة وتفاوته عن بعضه في المبادئ والاحزاب ، للمسنا المصير الذي لا بد منه ، والسلام الذي سيمقبه اخيراً ، ولكانت معداته العظيمة هدراً ، بعد ان يحق الحق ، الا اذا جن الانسان جنونه وهذا مما لا يفرض .

او لو قست الماضي الى الحاضر عصرراً فمعصراً من حيث التطور فيه

لوجدت العصر الحاضر هذا غير ما مضى ، حتى كاد ان يكون يومه كعام ، وعامه كالف ، سريع التطور كما تراه ، لاتصال الانسان ببعضه ونضوجه المتواصل ، هذا السائر به الى السكالم والموصل كل امة الى حقها .

فالسالم او المدنية الحققة لا تخالها بعيدة ايها القاري الاديب ولا تهولك الضوضاء والاقوال لاسيما وهذه العصبية تتم عليها ، وسيكون قولها فصلا بعد زمن غير بعيد .

فالامة الحكيمة الرشيدة ، هي التي تسعى الى السكالم تواء دون ان تعباً بغيره ، وهذا مما لا يزيد قوله لخروجه عن الصدود ولانه يدركه الاديب البصير كما يدرك ما مقصده ، ولو لا اني اريد ان اطرق هذا الباب قبل الدخول فيما تحتاج اليه العرب .

اما ما تحتاج اليه العرب فذلك ما تضيق به مثل هذه الكلمة لاسيما وبمحننا هذا لا يتعلق الا بناحية مما تحتاج اليه العرب ، وانما اظنها الناحية الكبرى والجبية التي يجب تعزيزها ، ولهذا هي التي اقتصر عليها فاقول :

كانت هبة وكانت كبوة ، وكانت غفلة حتى استفاقوا . ونحن الان في المرحلة الاخيرة من هذه الكلمة تاركين للتاريخ والادب ما يعرف عن اخواتها الثلاث في غابر الايام ، ومنها المفرج والمؤلم والمؤسف .

دول العرب ، وان تكن دويلات حسدنة نسبة الى غيرها من الاممات و غير انها كريمة المحتد ، تستمد ايمانها من الاولين ، اولئك الذين اوفوا المدنية حقها وسنوا العدل ونهوا عن الظلم والاعتداء ، وان الشمس التي جنحت عنهم ردحا من الدهر قد ذفرقناها اليوم ، وكافي بهم قد اوسلت اليهم نورها من كبد السماء .

فالعرب تريد من دهرها ايها الاديب ، ما تريده كل امة كريمة نبيلة تصبو الى مجدها الغابر . ولان عد الامم الكبيرة المنصفون ، عدوا العرب ولا شك في الطليعة ، لعراقتهم في المدنية والتشريع منذ آلاف السنين ، وهكذا العرب اليوم تريد ان تبني على اساس الاولين ، وانما لا ان تقف عند غاية معلومة محدودة ، لتكون ضياء للعالم في مصيره ، كما كانت ضياء له في ابتدائه

﴿ المدنية الحققة التي تحتاج إليها العرب ﴾

فالمدينة الحققة التي تحتاج إليها العرب ، هي أكثر من هذه التي نتلمسها الآن هي غير هذه التي جاءت عن غير مبعتها الأول . المدنية الحققة ، هي التي انبعثت من الشرق قديماً وهو الذي سيطلها حديثاً ، والعرب هم الذين سينتصرون لها مع المناصرين ، وسيبعثونها مع الباعثين ، كما بعثت أولاً وثانياً فيهم ، وهم أولى البشر بتأييدها على الإطلاق لانهم اصحابها القدماء القدماء .

ها هي بابل ، وتلك شريعة حمورابي منذ آلاف السنين ، تجلي فيها مدنية الارام جدود العرب . قبل ان تظهر هذه الشرائع الثلاث ، الشرائع التي يدين بها العالم المتمدن منذ القديم حتى اليوم ، والتي سوف يعمل بروحها اخيراً ، لانها هي التي وحدها تدعو الى السلام ، هذا السلام الذي ينتظره العالم منذ القدم .

فالعرب وان كان لا بد لها ان تجاري معاصريها بشكل تحتفظ معه في مدنيتهما الحاضرة ، وانما دون ان تنقلهم في كل شيء ، في معاداتهم ومدمراتهم مثلاً او في كل ما لا تجوزه المدنية الصحيحة ، لانها لا تريد استثمار العالم شأن بعض المحققين ، وانما لتذب عن حياضها وحقوقها وحسب .

فليست العرب والحالة هذه في حاجة الى أكثر من قوة تدير بها شئونها ، وانما هي في اشد الحاجة الى قتل العامية في هذه المرحلة وتعميم الثقافة . او التعليم الاجباري في الدرجة الاولى ، وان تولي وجهها شطر المعارف وتعزيزها ، قبل اي عمل تأتية على الإطلاق ، وهذا ما تستطيعه كل دولة من العرب بلا استثناء او كل دولة تستعمل حرف العرب ، اللهم اذا اتخذت هذا الاصلاح مكباً لها بدلا من الحرف الحاضر هذا الذي يتعذر العمل به كثيراً .

❦ الكتب العلمية التي تحتاج اليها العرب ❦

فلو سألنا العرب يا ترى ما في خزانكم من الكتب العلمية ، هذه الموجودة في الغرب ، هذه التي يعملون الغربيون فيها مثلاً ، ماذا يكون جوابهم ؟ لا شيء منها الا الادب وبعض الفلسفة والتاريخ وما اشبه ذلك من كتب اللغة ونحوها ، وهذا مما تركه الاولون لهم لا بما اوجدته العرب اخيراً الا ما نذر . او لو سألناهم عن عصر المأمون مثلاً ، او عصر من جاء بعده من ملوك الطوائف ، تلك الاعصر التي ما زال العرب يفتخرون بها ويقولون ، نحن العرب الذين وضعنا من العلم ما وضعنا ، وقد زهلوا بانهم يسألون عن تقصيرهم من هذه الناحية .

وانهم يفضون اسلافهم الذين بهم يفتخرون . فليت شعري اين العلماء اليوم من ضعوا منهم واين ما وضعوا ؟ بل اين الادباء من نسخوا منهم واين ما نسخوا ؟ اين التأليف العلمية هذه التي تلس فعلها في الغرب ولا نراها في هذه النهضة التي تشرأب فيها الاعناق ؟ بماذا يقرأ من لاحظ له في اللغات الاجنبية يا ترى ؟ او اقل من هذا العمل البسيط الذي هو كل ما في الكون ؟ فبماذا ساد الغرب هذا الذي زيد التشبه به يا ترى ؟ هل في غير هذا السلاح ؟ كلا فإين هو ؟ ايلهو كلنا في السياسة وحدها ؟ فلتنصف العرب انفسها ، بل لتنصف ابناءها ، فلهل هذا تحتاج لا لاكثر منه في الخطوة الاولى ، لا سيما في مثل موقفها هذا . العرب ايها العالم الاديبي تحتاج الى الخزان العلمية الضخمة ، تحتاج الى العلوم الحديثة المفيدة ، هذه التي كادت ان لا يكون لها منها نصيب ، تحتاج الى العلم الذي يحدث القوة لا لاكثر منه الان ، واي دولة من العرب او مستعملي حرفهم لم تستطع ذلك ، وتأتي ما اتاه اسلافهم الصالحون ، والعلم شائع كما تعلم ولا اسهل من الاخذ به ؟

❦ خلاصة ما تحتاج اليه العرب ❦

فدول العرب او مستعملي حرف العرب ، بأشد الحاجة الى النهضة العلمية

وتعميم الدراسة الاولى وتدريب الناشئة على اكتساب العادات الحسنة لا سيما لاخلاق السامية ، وباشد الحاجة ايضاً الى مثل هذا الاصلاح تعزيزاً للغة والعلم ونشرها من جهة ، ولتجمع به العربي البعيد الى اخيه البعيد من جهة اخرى ، وهذا لا يكون الا به لسهولة مأخذه كما علمت .

فكل ما اريد قوله فيما تحتاج اليه العرب ، هو انها في حاجة الى التجدد في حياتها الجديدة هذه ، وانها لجديرة بان تكون قدوة يهتدي بها بدلا من ان تهتدي بسواها ، وبقول افصح ، ان تكون القائد الاكبر الى الفضيلة والمرشد الاعظم الى الكمال في عهدها الجديد هذا ، احياء لمجدها القليل ذاك .

فلا يفرن بعضهم حرف اللاتين مثلا فيسمى الى تقليده ، بل ليسع غيره الى تقليد حرفه هذا الحديث بل الفريد من نوعه ، وبان لا يفرن بعضهم سير الغربي مثلا من حيث هو فيقتدي به ، بل ليكون هو هدى لغيره في المدنية الحقة وليهتد غيره به ، وبان يعتمد على نفسه في كل ذلك ولا يفيدنه غير الاعتماد عليها في هذه الحياة !

والخلاصة ليكن لهذا الشرق حرفه وهو حرف العرب ، كما ان للغرب حرفه وهو حرف الرومان ، لا سيما بعد ان اقرت العصبة اسان العرب واعتبرت العربية فيها كأنها لغة الشرق جميعه ، هذه العربية التي يتوجب على ناطقيها تعزيزها ، وجعلها تابعة لحرفها في الانتشار لانها لغة القرآن الكريم ، ولهذا الحرف الذي اتقدم به الى القادة الكرام ، لا كبر عوناً لهم في السير الى الامام نحو الفضيلة والكمال . فهو العلم والقوة الصحيحة ، بل هذه الجياد التي اعدتها لهم ، عربية كريمة وحسبك ما تعرف عن جياد العرب .

هذا وقد انتهينا مما مر بنا ونجاوزنا حد الاختصار الى الاسهاب بحكم الاضطرار ، فإن لنا ان ندخل في ميزة حرفنا الحديث بعد هذا التمهيد المناسب ، وقد قرأ الاديب بعضها في خلال هذه السلسلة التي الزمناها

الواجب خشية الاعتراض، وكأني به وقد رغب بعضهم في اصلاحنا هذا وتورد بعضهم ، وانكره بعضهم علينا او انكر بعض ما ندعيه ، رغم فوائده الكبرى التي ذكرت ، ورغم ما آتينا به واثبتناه . وهذا مما لا استغربه بل اقره كما ادرك ذلك مما مر به الاديب ، لا سيما والحرف الذي تذكره له ما زال مجهولا منه .

فانا اعذر كل معترض كريم من هذه الناحية ، وانما اطلب اليه ان يعذرنني في ذات الوقت ، لاختلاف كل منا عن الآخر طبعاً واجتهاداً لا يفصله بيننا غير الرأي العام ، او الاكثية الساحقة حينما يحين ذلك ، ولتلك التي يحق لها الفصل الاخير لا ضيا في قضية تتعلق فيها مآت الملايين ، ويتوقف عليها السير الى الامام .

فانا بعد ان لمست الحقيقة بيدي وثبت من تقديري بمقياسي ، لا يهولني الاعتراض مهما كثر ولا يثني عن القيام بما وجب ، ولا يثبط من عزيمتي ابداء ، طالما الواجب في الانسان هو الذي يدفع كلا منا اليه . وجل ما اريده الان هو ان يدنو ذلك اليوم الذي ادعى فيه لاثبات كل ما ادعيه فعلاً ، واظهار هذا الحرف الى حيز الوجود ، ليكفي مؤنة البحث والتطويل واسباب اختلاف الانسان عن الآخر في كل شيء مما مل منه الاديب ، هذا البحث الذي لا اخر له فيعرف وان كان جدا مفيدا . ولكن لا بد لي قبل ان اترك هذا التمهيد الى ميزة الاصلاح وفوائده ان اوضح سبب الاختلاف بيني وبين المعترض الكريم الذي اقدر وجوده سلفاً ، فلعله يقتنع فيما ا قوله فينصفني ، او يقتنع بوجوب الاصلاح فيوافقني او يعذرنني كما اعذره ، وهذا اقل ما اطلبه اليه ايجاباً للواجب وقياساً به ، لما يتطلبه مستعملو هذا الحرف من النهضة السريعة التي لا تكون الا عن هذا الطريق .

﴿ وجوه الاعتراض ﴾

ولما كان اعتراضه كما اعتقد ينحصر في نقاط ثلاث اذا لم يكن في

أكبر من ذلك ، أهمها انكار المعارض علينا قولنا او صحة ما ندعيه في هذه الكلمة ، قبل التثبت والاختبار كما المس ذلك في بعضهم . فاقول لهذا المعارض انلا تمجل فلا حكم قبل دليل وكل آت قريب . فقد سئل الامام علي مرة عن الفرق بين الايمان واليقين فاشار الى كفه وهو يقول : قيد كف . ويقصد به مقدار ما بين السمع والبصر ، او الاذن والعين ، وما اقرب ما بينهما ايها المعارض الكريم . فعليك ان تطلب التثبت وعلي اثبت ان لك كل ما ادعيه . واما ان ترتاب بقولنا بعد هذا القطع والجزم او قبل الاختبار ، فاصح لي ان اقول لك ، ان هذا هو الظلم العظيم .

اما الثانية وهي اعتراض المعارض لثلا تضع بهذا الحرف الحديث معرفة الحرف الحاضر الذي نستعمله وهذا حق لا ينكر ، وجوابي عليه قد بقرأ في محله بميزة هذا الحرف وفوائده .

واما الثالثة ، فلاختلاف المعارض عنا رأيا في هذا الاصلاح وهي التي توجب على كل ما اقوله الان .

ولما كان اعتراضه هذا متعلقاً بكل منا لاختلافنا في كل شيء عن بعضنا في الطبائع والعادات والاجتهاد وغير ذلك رأيت ان ابحت في الاصول المتفق فيها الانسان والفروع المختلف فيها بعضه عن بعض ، ومن ثم في العادة وتأثيرها الكبير عليه كما بحثنا سابقاً في الطبائع فاقول :

﴿ اتفاق الانسان في الاصول واختلافه في الفروع ﴾

اذكر القاري الكريم ، بان الانسان وان اختلف عن الاخر في كل شيء وانما اختلف عنه في الفروع دون الاصول ، ولم يخرج عن كونه انسان مثله يشترك كل منهما في حب الاصلاح والراحة والاطمئنان وما اشبه ذلك ، كما ينفر كل منهما من القلبية والالم والظلم وغير ذلك من الاصول .

فالحاسة في الانسان مثلاً هي واحدة فيه لا تختلف في شخص ما عن الاخر مهما اختلف الانسان عن بعضه ، وانما تختلف في الفروع دون الاصول .

فأي منا لا يريد الإصلاح من حيث هو مثلاً ؟ كل منا يريد . وأي منا لا يريد الشفاء من المرض والراحة مثلاً ؟ كل منا . وأي منا لا يريد العلم أو الثروة أو غير ذلك مثلاً ؟ كل منا . ولهذا هي الأصول المتفق فيها الإنسان على اختلافه . ولكن هل كل منا يأتي ذلك أو يستطيع أن يأتي ذلك مثلاً ؟ كلا . ولهذا هي الفروع التي يختلف فيها الإنسان بعضها عن بعض .

فالأصول هذه متفق عليها كما تعلم ، وأما أن الإنسان يختلف في آتيانها فأنما يختلف في آتيان فروعها لا آتيانها هي . فحب الإصلاح مثلاً متفق عليه لأنه أصل لا فرع كما تعلم ، وفروعه كثيرة تكاد أفلا تحصى ، فها هو الإصلاح في الإدارة والنظام ، في اللوازم والأعمال ، وفي كل شيء ومنها إصلاح الحرف الذي يختلف فيه الإنسان عن الإنسان اختلافاً كبيراً لا نهاية له .

فالمعترض الكريم لعذر ما أو لسبب ما ، لم يرق له إصلاحنا هذا لأنه لا يرغب في الإصلاح وإنما لا يرغب في كل فروعه . فلعلة لا يريد إصلاحنا هذا للحرف ، وقد اعتاد حرفه زمناً طويلاً ، ورغم أنه لم يرغب فيه فيصلحه مثلاً ، وهذا حق وجيه لا اعتراض عليه .

بل لعله يخشى الخسائر التي تحدث بهذا الإصلاح ولا طاقة له بها مثلاً ، وهذا حق لا اعتراض عليه ، بل لعله لا يعتقد بإمكان إصلاحه أكثر مما هو عليه مثلاً ، وهذا حق ولكل منا اجتهاده ورأيه . وإنما ياترى إذا اختلفت الآراء وقال بعضهم بوجود هذا الإصلاح ، وظهر فوائده الكبرى كنتك التي رأيناها في إصلاح الحرف مثلاً ، وكان الحرف شائعاً بين المعترض وذويه مثلاً ، ليس من العدل أو العقل أن يجعل حكماً بينهما في الأمر ؟

بلى فهذا كل ما يطلبه المصلح الآن ولا قول إلا أمام الحكم وكل سائر وأصل .

كم هي المرضى التي تطلب الشفاء وينمها الفقر أو يعوزها الطبيب

او يقتضي عليها الجهل ؟ كثيرة . اذا لا يختلف الانسان عن سواء في الاصل او في طلب الاصلاح ، الا لسبب او مانع وما اكثَر الامثال في ذلك ايها الاديب .

وهكذا اذا تردد المعترض الاديب الى نادي ادبي مثلاً لاستماع ما يقال ، وتخلف الطبيب مثلاً الى معهد طبي تشرح فيه المرض ولم يفكر بالذهاب ولا مرة الى حيث الادب ، فمالان الادب لا يطالب ، ولكن للادب رجاله كما ان للطب رجاله ، ولكل منهما رغبة وان اختلفا عن بعضهما وانما يجمعهما العلم طباً كان او ادب .

فالذي اريد قوله بان الاصلاح هذا لان جاز الاعتراض عليه فانما يجوز فيما اذا لم تثبت ما قوله وهذا لم يتحقق ولا يكون قبل الاختبار . والاختبار هو كل ما ارغب فيه ، وانما اذا ثبت قولنا او ثبتت افضلية اصلاحنا عن الحرف الحاضر هذا ، فلا يجوز اعتباره بعد ذلك فرما او كاصلاح سنوي ليمتثل فيه او يعترض عليه ، وذلك لان الحرف كما يعلمه كل متابعه باب العلم الوحيد والانسان لا يسود الا بعلمه ، فكأنه هو العلم او الذي يسهل عليك العلم ، والعلم من حيث هو لا يختلف فيه قط لانه اصل كبقية الاصول ، فلماذا لا يجوز اعتبار الاصلاح في الحرف فرما كبقية الفروع كما ذكرنا ، ليمتثل فيه ويعترض عليه وان كان هو فرما لا اصلاً ، وانما يجب ان يعتبر كفرع ممتاز او كاصل ، لانه باب للعلم . ولان حصل شيء من الاعتراض على اصلاح الحرف او على هذا الاصلاح كما رأيت ، فهو يتجاوز ، وخروج على العلم لا الحرف ، ومثل القائل به كمثل من يقول لا حاجة الى العلم او تسهيله مثلاً ، او كالمريض الذي لا يرغب في الشفاء .

هذا وقد اتينا من هذه الناحية ناحية اختلاف الانسان في الفروع دون الاصول الى العادة وتأثيرها الكبير على الانسان في كل اعماله كما الحنا عنها سابقاً ، لا لاجل ان ننجح بها المعترض ايضاً وحسب ، بل لانه الفكرة الى تأثير اكتساب العادات الحسنة فيها وفوائدها ، وما الفرق بين اكتساب

ما سهل من العادات عما صعب منها ، كما كسب العلم بهذا الحرف الجديد مثلاً ، لسهولة فهمه نسبة الى الحرف الحاضر . فاطلب الى القادة الكرام لا سيما مرشدي الناشئة ومديري المعاهد والمدارس انتباههم الى هذه الكلمة في العادة ، لتأثير العادة العظيم في حياة الانسان فاقول :

العادة

العادة في الانسان ، هي الطبيعة المتسكنة منه والمسيطر عليها ، والعادة عرفاً ، هي كل ما استقر في النفس من اثر بتكرار اي عمل ياتيه الانسان . اذاً كل ما في الانسان من طبيعة مختلفة ، كادت ان تكون عادة فيه ، فيما اذا اعتاد اتيانها وتكرارها لا اغفالها ، وهكذا كل عمل يألفه الانسان ويأتيه فهو ولا شك عادة فيه . والعادة هذه لا بد لكل انسان من اتيانها سواء كانت مما فطر عليه من الطباع ، او بما حصل له بعد ذلك ، ولهذا هي قديمة جداً في الانسان ، منذ بدء حياته وادواره الاولى قبل ان يتحضر ، وهي طبيعته الثانية ولعلها تكون الاولى على رأي بعضهم لعظيم تأثيرها في الانسان .

والعادة من حيث هي سنة من سنن الطبيعة ، حكمها في الانسان حكمها في سائر الاحياء بل الكائنات ، وهي ذات الطبيعة الفريزية في الاحياء او الاكتسابية فيها ، لولا انها اعم منها فيها واوسع نطاقاً . فالفرس الذي يجتمع الى الاخر في طبائعه مثلاً هو واحد لو لا انه يختلف عن بعضه بما يعتاده من الطباع في خلال حياته ، فالمرض من الخيل مثلاً ، هو غير المهمل والربيط منها غير الطليق ، كما ان الحرون منها غير الجروح (١)

(١) للاحياء ثلاث طبائع لا بد منها تجمعها العادة فيها ، وهي الفريزية ، والاكتسابية ، وما تعتاد عليه علاوة عنهما . فالاولى كالجروح من الخيل او الحرون منها مثلاً وهي الطبيعة الفريزية فيها ، والثانية كالمرض منها على الاعمال كخيل الجيش مثلاً او خيل الالاب وهي الطبيعة الاكتسابية فيها . والثالثة هي ما تعتاده في حياتها عن غير قصد ، كالفرس الطليق الذي اعتاد ان يكون كذلك او الربيط مثلاً ، وكل هذه الصفات تجمعها العادة هذه او تدخل في حكمها

وعليه قس سائر الاحياء يعادتها على اختلافها حتى الكائنات ، فصحيفة الورق التي تطويها لأول مرة مثلاً ، قد لا تحتاج الى مثل ذلك ثانية لما عودتها عليه في الاولى ، ولما تركت فيها من اثر يزداد ظهوراً كلما اعيد وتكرر .

فعلى هذا كل ما في الانسان من طبيعة فطرية فيه او اكتسابية حصلت له ، كان للعادة هذه تأثيرها الاعظم في تقوية هذه الطبيعة وتميزها في الانسان ، وذلك لان من طبائع الجهاز العصبي لا سيما المراكز العليا منه كما تقول علماء النفس ، قابلية لاكتساب العادات الجديدة من حيث هي ، والعادات المكتسبة هذه ليست الا عمراً جديداً تطرقه المجاري العصبية فزداد استسهاها له بتكرار مرورها فيه . فكل مجرى يلبح الدفاع لا بد له حين مفادته له من ان يترك اثرأ فيه ، وهذا الاثر يتفاقم بتكرار مرور المجرى فيه حيناً بغير حين ، حتى يصير قوة في الدماغ الى جانب ما فيه من قوى ، وتجدد الانسجة المتواصل لا يمنع تكون هذه الممرات ، بل يساعد على تبوتها وتأصلها وينسج عليها بذات الوقت حتى لا يعود بالمستطاع استئصال تلك العادات المكتسبة من بين تضاعيفه وتركيب انسجته وحجراته .

فلهذا نجد بان العادة في الانسان او الاحياء مثلاً ، تختلف عن بعضها قوة باختلاف الاعمار فيهم . فهي اقوى من الذين يشبون عليها منها في الذين يعتادونها اخيراً ، الم نر المعمرين الذين اعتادوا كثيراً مما يضرهم من الطبائع مثلاً لا يستطيعون ترك ما شربوا عليه من العادات استطاعتهم ترك ما اعتادوه اخيراً في كبرهم ؟

بلى فالذين اعتادوا في كبرهم آتيان الاعمال لا كالذين شربوا عليها منذ حداثنهم ، وتمكنت منهم تمكناً لا ازالة له والفرق في ذلك ملموس . فيدك اليسرى في عملك مثلاً ، ان تكون كاليمنى ابداً مهما حاولت ذلك ، وان تتمكن منك عادة استعمالها ~~تمكناً~~ اليمنى منك ، وبكس ذلك لو فعلت وانت صغيراً .

وكما ان كل شيء هو اسهل على الاحداث مأخذاً منه على المعمرين ، وكذلك هي العادة منهم . وذلك لحلو ادمغة الاحداث من المؤثرات الجديدة وسهولة انفعالها بما يرد عليها من المحسوسات بخلاف الشيوخ الذين يناقضونهم في ذلك والعبرة في كل ذلك للاعمار .

وعلماء النفس ، او كل من تتبع تأثير العادة من المدققين الذين ميزوا ذلك هم من جهة ثانية لا ينكرون على الانسان قوة ارادته وعظيم تأثيرها على العادة في حالتي اخذها او استئصالها . فهم وان قالوا باستحالة استئصال العادة من الانسان من جهة كما رأيت ، غير انهم لا ينكرون عليه استطاعته اهلها ان لم يكن الى استئصالها من سبيل . ولو لا ذلك لكانت العادة ضربة قاضية عليه ، ولالزمنا السكوت بدلا من هذا الاقتراح .

ومن ثم كما ان اخذها هو اسهل على الاحداث منه على المعمرين كما رأيت ، فكذلك استئصالها منهم او اهلها فيهم . فالاحداث الذين يتزحون من محيط الى آخر ، او الذين تأويهم المدارس وتهذبهم من المتشردين مثلا ، سرعان ما يتبدل عاداتهم بغيرها او لغاتهم باخرى ، وبمكس ذلك الشيوخ الذين يحتفظون بعاداتهم وتقاليدهم الا ما نذر منهم .

فالعادة في كل حالاتها شديدة بالعدوى التي تليج الاجسام بلا استئذان ومن حيث لا يشعر بها ، او بالامراض السارية هذه التي ترغب في الاحداث ما ليس ترغبه في المعمرين وتمكن في بعضهم ما ليس تفعله في الاخرين .

وتعريف العادة هنا من قبيل تحصيل الحاصل الذي لا طائل تحته ، واي منا لا يعرف عنها الشيء الكثير وكلنا ابناءها بلا استثناء ، لو لا انني اريد ناحية منها لها شأنها الكبير تقيما لبحثنا هذا كما وعدنا بذلك والناحية هذه التي انطرق اليها ، هي منافع العادة ومضارها ،

وتأثيرها العظيم على الانسان ، وبيان تفاوتها عن بعضها ، لا سيما العادة التي يشترك فيها الجمهور او المحيط ، كمادة استعمال الحرف الذي نحن فيه .

حجج تأثير العادة على الانسان لا سيما التي يشترك فيها الجمهور
 لكل امرئ من دهره ما تعود . حكمة لابي الطيب المتنبى لا حاجة معها الى ايضاح . فما صح في الفرد الذي تتمكن منه العادة ، صح في الجمهور ، ولا فرق في ذلك مطلقاً من حيث تأثيرها فيهما ، الا ان العادة التي يشترك فيها الجمهور او المحيط مثلاً ، هي اطول حياة فيه منها في الفرد ، بل الفرق بينهما عظيم . هذا من جهة ومن جهة ثانية ، لا تزول العادة من الجمهور ، زوالها من الفرد بتأثير الارادة مثلاً ، وانما تزول منه بالتطور البطيء ، الا ما شذ من ذلك كما ترى . فالفرد الذي اعتاد ان يهمل اعماله مثلاً ، قد تنتهي عادته هذه بانتهاء حياته او يتخلص منها بقوة ارادته ، وهي بعكس ذلك في الجمهور او المحيط .

فالجمهور الذي يعتاد ما قبح منها مثلاً ، لا يستطيع التخلص منها الا بالتطور البطيء ، او بانقلاب فجائي كبير ، تبعه العبقرية ذات السلطة المطلقة كما يحصل مثلاً في بعض الانم . فالعادة من هذه الناحية ، هي في الفرد غيرها في الجمهور ، وما خلا ذلك فهي فيهما بالسواء . وذلك لتشجيع الجمهور رأياً وارتباطه ببعضه فيها ، بخلاف الفرد المستقل بها في نفسه كما هو معلوم .

اختلاف العادات

والعادات من حيث تختلف عن بعضها كثيراً ولاختلاف الانسان في اعماله ، فمنها الصالحة والطالحة ، والسهلة والصعبة ، والحسنة والسيئة ، وغير ذلك كما هو معلوم . وكلها تفاوتت عن بعضها تفاوتاً مختلفاً لا يترك مجالاً للريب في عظيم تأثيرها على الانسان وسلطانها الكبير عليه . ولو لا ذلك ، لتمخير كل منا اسهل الاعمال مثلاً ، ولفضل افيدها بدلاً مما يعانیه ، لو لم

تسهل عليه عمله الذي يعناده لدرجة تجعله لا يرغب في عمل سواء .
فالعامل الذي يكسح في معمله مثلاً ، ليجد عمله اسهل عليه من ان
يأتي بدلا منه عمل الكاتب في مكتبه ، وكذلك المسئول الذي يستندي
الاكف مثلاً ، ليجد عمله اسهل عليه من ان يأتي عملاً سواء ، وقس على
ذلك سائر العادات في اصحابها وتمكنها منهم لدرجة تجعلهم يهزؤون معها في
الحياة كما نرى ذلك في المغامرين منهم .

والعادات التي يشترك فيها المحيط بكامله ، او التي يالفها كل منا في نظامه
وتقاليده على اختلافها ، هي اشد سلطة علينا من سائر العادات المتفرقة
الآخري ، لارتباط الجمهور ببعضه فيها للاسباب التي ذكرت ، وهي التي
نشهد اليها لعظيم تأثيرها في كيانه من جهة ثانية ، ولان بحثنا هذا ايضاً
يدخل فيها لشعولها احرف الهجاء ، هذه التي يشترك فيها الجمهور
منذ القديم .

وقبل ان ادخل فيها لا بد لي ان اذكر القاري الكريم ، بان الانسان
على اختلاف ما فيه من طبائع فطرية كانت او اكتسابية او خلافتها ، هو مقيد
بالقوة المتمكنة فيه من هذه الطبائع ، والقوة المتمكنة فيه هذه ، هي
التي يكثر انبياتها ولا عبرة في ذلك لاصلها ، ولما اهملها منها
كما ذكرنا .

❦ تأثير العادات التي يشترك فيها الجمهور ❦

فعلى هذا متى اعتبرنا الامم من حيث هي ، بعاداتها هذه وتقاليدها وهو
الواقع ، ادر كنا تأثير العادات فيها من تفاوتها عن بعضها في الحياة والكيان ،
ولمنا عظيم سلطان العادة في الانسان الذي تسيره ولا تخيره .

هذا الشرق ، وهذا الغرب ، ولكل منهما عاداته وتقاليده ، فالفرق بينهما
ظاهر واضح ، بتأثير ما اعتاد كل منهما من الاعمال ، وان شئت قل الطبائع .
خذ من الشرق اليابان والصين ، واضرب بهما مثلاً للشرقيين ، فهما
من عرق واحد وامة متساوية منذ عهد قريب ، وميز الان بينهما تدرك

تأثير العادة فيهما هذه العادات التي تبطل الحديثة منها البالية ، او تبطل بتأثيرها الصغير والكبير .

خذ الترك ، خذ الفرس ، خذ غيرها من الشرقيين ، هؤلاء الذين نهتهم الحرب الكبرى من غفلتهم ، وقس بين يومهم وامسهم ، نجد الفرق العظيم . والفارق هذا ، هو تأثير العادات الحديثة ، او الطبائع التي اكتسبوها اخيراً .

فالطبائع الحديثة هذه او العادات المكتسبة في الجمهور ، كالجد ، والعمل ، والشمس ، وحب الوطن . والاعتماد على النفس ، وما اشبه ذلك من الطبائع المحيطة ، هذه التي تبعثها العقيدة الفطرية في النفوس ، الدكتورية كما يدعونها ، هي التي تميزها الامم عن بعضها ، او يميز بها كيانها ، ولهذا هي التي تتكون منها النهضة العامة في المحيط ، بدافع التربية والتعليم وشقي الوسائل ، ويعمل بها الجمهور ويعتادها حتى تصير عادة فيه .

فالنهضة هذه وان تكن العبقريّة ، او السلطة المطلقة ، او غيرها هي التي تبعثها في الامم ، وانما تأثير العادة وحده ، هو الذي يقرها فيها ، حتى تصير النهضة طبيعة الى جانب ما في الامم من طبائع .

وكذلك الجود والخنوع ، والجهل والكسل ، والتباغض وضعف الهمة ، وما اشبه ذلك من الطبائع المهتمة للكيان ، هذه التي يبعثها الحمول القتال في البشر ، ويتكون منها الضعف المعيب ، هي ايضاً مما يقرها تأثير العادة في النفوس ، وهي التي نراها مع الاسف في بعض نواحي هذا الشرق القديم ، وتدلنا على مكانها منه ، خلوها من النهضة هذه التي نراها في بعض نواحيه ايضاً ، لانها ضدان لا يجتمعان في مكان واحد منذ الازل .

واذا رجعنا الى التاريخ منذ القديم حتى الان ، لوجدنا بقاء النهضة في الامم او زوالها منها ، كان على قدر تمكن الطبائع المحيطة منها ، او عدم تمكنها . ولهذا نجد معظم الدول التي تأسست سابقاً اعقبها نهضات

اختلفت قوة وبقاء ، باختلاف تأثيراتها بالعادات او الطباع المختلفة فيهم ،
والاطول نهضة من هذه الامة ، كانت هي التي تمكنت منها العادات
المجيدة ، والعكس بالعكس .

فازدخار العادات من هذه الناحية ، واختيار ما حسن منها لتأثيرها
في حياة الانسان ، وحفظ كيانه ، اشبه شيء بالسلاح من حيث
مضائه وفساده ، والحازم من اعتد بامضاء واقعه ، بل التسليح بالمفيد منها
هو اصلح من التسليح بالسلاح الذي تعرفه ، لانها هي القوة التي يعتمد
بها في الامة .

ولرب معترض يقول ، بان الامة في عروقتها وفيما فطرت عليه من
الطباع ، واثار الى الاري في التاريخ مثلاً ، وان ما في الامة من
طباع هي فيها بتأثير الهواء او الاقليم مثلاً ، او الى غير ذلك من الاقوال
التي يريد بها الا يجعل تأثيراً للعادة بهذا المقدار الذي نذكره مثلاً ،
ففقول له ، نحن لا ننكر ما لتأثير الطباع والهواء وغير ذلك من
المؤثرات على الانسان ، وانما هذا لا ينبغي من اكتساب العادات
الحديثة تأثيرها العظيم ، بل يقره ، ومن العلماء من ينكر كل
طبيعة لم تقرها العادة في الانسان حتى قالوا ان الانسان بعوائده
وحسب .

فالنهضة هذه التي حصلت في اليابان مثلاً ، هي نتيجة تأثير العادات
التي حدثت في اليابان ، لا ما فطر عليه اليابانيون ، والبرهان
على ذلك ، انها لم تكن اليابان كما هي اليوم سابقاً . وهكذا قل في
سائر الدول التي اندفعت بتأثير عاداتها حديثاً ، كما اندفعت سابقاً
وتقبلت ادواراً مختلفة بتأثير ما كانت تعتاده من مختلف الطباع .

والعرب في صدر الاسلام بلغت الى ما لم تبلغ اليه امة من الامة
في كل ما تصبو النفوس اليه ، على ان العرب لم تكن كذلك قبل
الاسلام ، ولا هي اليوم مثلها حين كانت كما فعلها . كل هذا دليل على
تأثير العادات على النفوس ، لا على ان الانسان بفطرته او بمرقه او بتأثير

الهواء عليه او الاقليم وحسب .
ولو لا ضيق المقام في هذه الكلمة المختصرة ، لاتينا بالادلة الكثيرة
على تأثير العادات في حياة الانسان وكيانه ، وانما لا اظنني بحاجة
الى ذلك ، والقاري الكريم يعرف عن تأثيرها الشيء الكثير ،
ولهذه التي نهت اليها القادة الكرام واولياء الامور قبل هذا
الكلام .

✽ منافع العادة ✽

« اذا اعتاد الفتى خوض المنايا فاهون ما يمر به الوحول ،
هي ايضاً حكمة لابي الطيب المتنبى الشاعر الحكيم .
فنفع العادة ، هو تسهيلها كل ما يتبادر للانسان في حياته من
الاعمال وخلافها . هذا البدوي الذي اعتاد القفار منذ القدم ، هو
لو لا اعتياده ذلك لما لذه عيشه الذي ما زال فيه حتى اليوم ،
وهكذا قل في الريفي او المعتزل او قل في ابن الثلوج والرمال ، وقل
في كل قانع في حياته ، والفضل في كل ذلك للعادة وحدها . فلماذا
لا نرى نفعا اعظم للانسان من العادة هذه التي تقنعه في حياته على
اختلافها ، وتساوي بين الرفيع والوضيع ، وهكذا قل في كل ما
يألفه الانسان من العادات في اعماله وفي كل شيء يأتبه . ولكي
ندرك ذلك كله لننظر الى العامل في ابسط ما لم نأته من الاعمال
مثلا ، ندرك عظيم نفعا له . فاي منا لم ينظر اليه في عمله فيستسهله ،
ولكن سرعان ما يرجع عنه لدى اتيانه واخفاقه ، في حين ان المعتاد
عليه مثلا ، يأتي عمله هذا دون ان يجهد فكره .

فهذه ملكة اللغة في الجاهلية حتى بعد الاسلام في عرب البادية ،
هي ايضاً من منافع العادة وتأثيرها في السنة العرب . واختلاف
الكسادي وسبيويه في مجلس الرشيد وتحكيم ابن البادية فيما اختلف
فيه ، شاهد كبير على تأثير العادة على اللسان حينما قال ، لساني لا

يطاوعني جوابا على ما كلف به من تعمد الاذن (١) .
وهذا علم القراءة والكتابة ، هو ايضا من منافع العادة وتأثيرها في الانسان
ولذلك تختلف القراءة فينا قوة باختلافنا ممارسة عليها ، وكذلك قراءة
الاولين في صدر الاسلام قبل اعجام الحرف وتفریق احرفه المتشابهة ، هو
ايضا من منافع العادة في الانسان لقوة تأثيرها فيه ، وهكذا قل في كل ما
يعتاده الانسان من الاعمال على اختلافها . فرواة العرب مثلا ، كان احدهم
يروي الوف القصائد كما رأيت ذلك في حماد الراوية والاصمعي وغيرهما من
مشاهير الرواة ، كل هذا من منافع العادة وتأثيرها على كل ما في الانسان
من حواس بلا استثناء .

فالعادة بعد اكتسابها ، لا صعوبة معها في كل ما يعتاده الانسان من الاعمال
مهما كان نوعها ، وانما كل الصعوبة في كل ما لا يعتاده من كل شيء ، ولهذا
نجد اكتساب العادات الحسنة ، هو انفع عمل في الواقع للانسان ، والقادة
اليقظة لا سيما مرشدو الناشئة هم من تنهوا الى ذلك ، وسعوا الى تعميم
العادات الحسنة في الناشئة عن سبيل التربية والتعليم .

فاكتساب العادات الحسنة مع الثقافة التي تريد تعميمها ، هي الوسيلة
الوحيدة لها في كل ما تصبو اليه ، وبمعكس ذلك قد لا تضيد الثقافة وحدها
مع الطباع والعادات السيئة في الانسان ، ولربما سببت ضرراً بدلا
من نفعها .

(١) مرسيوميه في بغداد والكسائي يدرس اخي الرشيد الامين والمأمون
فتناظرا واختلعا في كلمة « ظننت النحلة كالذنبور فاذا هو هي » وبين انها
« هواياها » واقفا على ان يؤتي باعراي من البادية ليفصل ما بينهما ، ولما جيء
بالاعراي وقال ما قاله سيديوه ، (اي ظننت النحلة كالذنبور فاذا هو هي) ارادوا ان
يقول ما قاله الكسائي تعصباله لقربه من مجلس الرشيد . فقال لساني لا يطاوعني
وانما خيروني فاختر قول الكسائي دون ان انطق به ولما فعل خرج سيوييه
غاضبا والاعراي « قايضا »

ضرر العادة

ضررها هو تمكن السيئة منها في الانسان تمكناً يصعب استئصاله ، فالعادة الحسنة التي نود اكتسابها مثلاً ، نلزمنا ترك ما يناقضها فبينا من الطبايع قبل ان تحمل محلها . فالانسان الحامل مثلاً ، لا يكون نشيطاً الا اذا ترك الخمول ، وكذلك الناقص او الاعوج ، فهو لن يكون كاملاً ومستقيماً ، الا اذا ترك نفسه واعوجاجه ، وهكذا قل في نقيض كل عاده غير حسنة ، لانها ضدان لا يجتمعان في جسم واحد كما ذكرنا ، وهذا هو ضررها الكبير في الانسان ، لصعوبة استئصال ما قبح منها فيه ، لا سيما الانسان الذي ضعفت ارادته عن ذلك ، او مداركه عن تمييز الحسنة من السيئة ، او الذي ضعفت همته ومروءته ، او ضعف حسه في هذه الحياة .

فهرب الجاهلية مثلاً ، كانوا يبدون بناتهم ويعدون ذلك شرفاً فيهم ، كما انهم كانوا يعدون تركهم لما يعبدونه من الاصنام عيماً كبيراً وذلك لتأثير العادة فيهم لدرجة جعلتهم لا يميزون بين ذلك ، وهذا من خواص تأثير العادات السيئة في الانسان ، لا سيما التي يشترك فيها الجمهور او المحيط .

ولكي نلخص ذلك ، لننظر الى بعض الذين ما زالوا يميلون الى سلطة الترك مثلاً ، من ابناء هذه البلاد ، لما اعتادوا عليه من ذلك ، وبؤثرون سلطتهم على انفسهم ، على ما لقوا من ادارة الترك السابقة ، وهذا مما لا يستغربه كل منا ايضاً ، لاعتياده ان يرى مثل ذلك فيمن اعتاد حكم الغير من البشر ، غير انه في الواقع ، هو امر يستغرب جداً ، بل هو شاذ من نوعه ، لتطلب الانسان اقياده الى سواء ، ودخوله في امرة غيره ، واشاره غيره حتى على نفسه .

كل هذا بتأثير العادات على الانسان ، تلك التي لا يشعر بها الا من بعد منها او قاوم تأثيرها ، والبرهان على ذلك ، هو اننا نستغرب كثيراً من العادات الغريبة التي ليست فينا ، بين ان الذين نستغرب فيهم ذلك ، قد لا

يشعرون بشيء من هذا ، بل يستغربون منا استغرابنا هذا ، كما هي الحالة في العالم من حيث هو كما تعلم .

غير ان العادات السيئة هذه التي تعم الجمهور او المحيط مثلاً ، هي وان تكن اعظم مصاباً من التي لا يشترك فيها الجمهور ، غير انها اسهل منها استئصالاً ، لوجود النهضة في ولاية الامور ، اكثر منها في سائر الافراد ، اللهم مع وجود السلطة فيهم وحسن النية والتضحية .

فالادارات التي تسير على انظمة بالية مثلاً . ليسهل جداً على ولاية الامور ابدال انظمتها البالية باحسن منها كما يحصل في العالم مثلاً ، ولا ينبغي ما في ذلك من الفرق الكبير . ولعل الله يرسل لهذه الامة او المحيط ، حكماً ذا سلطة وادارة وهمة فينجيه من بعض تقاليدنا التي لا تصالح بل التي كادت ان تقضي عليه .

❦ تفاوت العادات في اكتسابها ❦

تفاوت العادات عن بعضها اكتساباً ، كما تتفاوت عن بعضها نفعاً او ضرراً . فالعادات التي من طبعك مثلاً ، هي اسهل عليك مأخذاً من العادات التي ضد طبعك او التي لا تلائمك ، وان ماسهل منها مأخذاً عليك ، لاحب اليك مما صعب منها ايضاً ، وذلك لما فطر عليه الانسان من حب الراحة في هذه الحياة ، ولانه ميال بفطرته الى كل ما لذ له فيها وطاب ، او سهل عليه وهان . وهذا هو السبب الوحيد في انتشار ما لا يفيد من الطبائع والعادات ، وتغلبيها انتشاً على ما يفيد منها رغم ما في الثانية من فضيلة وفوائد . على ان الانسان من جهة ثانية . ميال باورادته الى كل مفيد على الاطلاق ، فيما اذا سهل عليه اكتسابه .

فالذي يسهل عليه اكتساب ما يفيد من الاعمال مثلاً ، كتعلم القراءة والكتابة كما يسهل عليه اكتساب ما لا يفيد منها كتعلم الالعب وما شاكلها مثلاً . فضل الاولى منها بل ارب لفائدتها الكبرى ، لافقار الانسان الى ما يفيد دائماً بدافع الحياة ، هذا اذا اتيج له ذلك ، وكان ما يفيد بدرجة ما

لا يفيد مأخذاً وسهولة. بين ان الانسان لا يكون على شيء من هذا ،
فيا اذا صعب عليه الحسن مأخذاً ، بدافع طبيعته التي فطر عليها كما رأيت ذلك
في محله .

خذ مثلاً على ذلك ، من تعلم اعمال الحساب الاربعة ، فعمل الجمع مثلاً ،
لسهولة فهمه ، لتجدد الذين يحسنونه من العامة ، هم اكثر عدداً من الذين
يحسنون الضرب الذي هو اصعب منه ، وكذلك الذين يحسنون الضرب
مثلاً ، هم اكثر عدداً من الذين يحسنون القسمة منهم . وهكذا قل في كل
ما صعب وهان من الاعمال ، فانك لتجدد الانسان في جميعها ميلاً الى ما
سهل منها وهو اكثر فيها عدداً لما صعب ، وهكذا في سائر الاعمال اذا جردته
من ارادته .

فالعادات تتفاوت عن بعضها انتشاراً بتفاوتها عن بعضها مأخذاً ولا
عبرة في انتشارها ، الا لسهولة مأخذها الذي يصبو اليه الانسان بفطرته .
فالعادات او الاعمال التي تريد نشرها او تعميمها مثلاً ، سهل الطرق اليها دون
ان تدعو اليها احداً ما تجدها غاصة بقاصديها مزدحمة بهم سنة الله في خلقه
ولن تجد لسنة الله تبديلاً . ولهذا هي النظرية الوحيدة التي دفعتنا الى هذا
الاصلاح ايها العربي الاديب .

فقد ادرك الاديب بما ذكرنا عن العادة وتأثيرها في الانسان الغرض الذي
نرمي اليه من تأثيرها ، وذلك لا لان المعارض معذور على اعتراضه وحسب ،
بل لان لان الاسلاف ومن سبقهم منذ القدم ، معذورون على
عدم تمكنهم من اصلاح الحرف لتأثرهم باعتياده وهذا ما اثرنا اليه في محله في
تطور الاحرف في الاعمى ، وسبب اختفاء العلة فيها او عدم انتظامها وتنسقا
نعم واقلم تكن العادة هذه هي كل الاسباب في ذلك ، وانما كانت سبباً
كبيراً كما ادرك ذلك الاديب من تأثيرها وضررها في الانسان لا سيما العادات
التي يشترك فيها الجمهور ، هذه التي تكاد لا تتطور فيهم فتطول حياتها كثيراً
رغم رقي اصحابها وتطورهم كما ترى ، وبهاء حرف العرب حتى الان على مثل

ما كان عليه قبل الطباعة ، لا كبر برهان على تأثير العادة المشترك فيها الجمهور لما نعرف عن افتقار العرب الى ضبط لغتهم ، اذا لم نقل الى اكثر من ذلك . فالعادة من هذه الناحية قد عرفنا تأثيرها ، ولا حاجة الى تكرار ما ذكرنا منها ، وانما لاجل الاستفادة منها ، اذكر القاري الكريم بمنافعها ، لا سيما تفاوتها عن بعضها اكتسابا كما مر به ، لتسهيل الطرق امامها واكتساب ما حسن منها ، ولهذا الاصلاح الذي اتقدم به ، جاء ايجابا لفطرة الانسان من هذه الناحية ، لانه وضع لهذه الغاية نفسها ، وهذا مما يدركه القادة الكرام فتسمى الى مثله ، وعسانا نوفق ثانية الى خدمة كهذه ايجابا لحالة البلاد .

❦ خلاصة القول في العادة ❦

فالعادة هذه بتوقف عليها الهناء والشقاء ، والسعيد السعيد من اعتاد الحسن منها ، والشقي من اعتاد عكس ذلك ، فلامعين مثلها للانسان في اعماله ، ولا شيء اصعب من تغييرها على الاطلاق اللهم مع ضعف الارادة ، ولا اظنني في حاجة الى اكثر مما ذكرته في هذه الكلمة المختصرة ، والجملة الاخيرة كافية ان يدرك منها الاديب ما نقصده ونبنيه . وجل ما اريد قوله الان بان الانسان متأثر جداً بعاداته ، والمتأثر بعاداته ، يغرب عنه الخطأ والصواب الا اذا حكم العلم والعقل ، وسلط عليها الارادة القوية ، وهذا قل من يفعله . فلهذا كل مطلع كريم ، لم يحكم في كل ما نقوله عقله ، ويعتمد في ذلك على علمه ، لا اراه موافقاً على هذا الاصلاح الذي ينجم عنه كل اصلاح في البلاد ، لتأثير العادة فيه . وكذلك اذا لم يعطف على قومه او وطنه مثلاً كما يعطف على نفسه او ولده واهله ، لا اراه مجيئاً لما نقوله ، ولفضل ما اعتاد عليه من الحرف بتأثير العادة فيه حتى يشاء الله .

فالانسان ايها الاديب لا يزال يفضل ما اعتاده من الحرف او سواء على ما لم يعتده منذ القدم ، الا اذا حكم العلم والعقل وميز بين الفث والسمين ، وان شئت قل بين الحق والباطل ، وقاوم ساطان العادة هذه ، بما يكنه من

العاطفة النبيلة لقومه او محيطه .

فالنيل النيل ، او الفيور الحق ، هو الذي يعطف على قومه ووطنه فعلا ، فيمهد السبيل امامه نحو العلم ، لا من يتلذذ بعبادته ويدعي ذلك قولاً ، والحكيم الحكيم من مير قوله تعالى « وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى واتوا البيوت من ابوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون » .

فانا لا اوى في اصلاح الحرف ما يمنعه الله ، او تنهي عنه الرسل ، او ما لا يقتضيه العلم والواجب ويقره العقل والاجتهاد ، ليعترض عليه المعترضون ، وهذا كتاب الله بين ايدينا ترى نحفظ بروحه ام بحروفه ؟ وكفى .

هذا وقد انتهينا من التمهيد الى هذا الاصلاح الذي لا بد لي ان اذكر بعض ميزته وفوائده ولو ان ذلك لا يفيدنا شيئاً ما ، اذا لم يظهر العمل الى حيز الوجود . وانما اذكرها ليستدل الاديب من وصف هذا الاصلاح عن قيمته فيقدره ويعذرنا ربّما تتمكن من اجابة طلبه اذا شاء فاقول :

ميزة اصلاحنا وفوائده

❧ وكلمة في اللغة قبل الدخول فيها ❧

لقد اجمع الادباء على ان اللغة تابعة لاصحابها ، فتحيا بحياة الامة ، وتشفى بشقائها ، وهذا قول يقره الواقع ويشهد به التاريخ ، ولا اعتراض عليه ابداً . ويقول المفكرون ان حياة الامة يبعثها العلم والجد ، والنهضة في كل شيء مفيد ، ولهذا الذي نسعى الى تحقيقه بمنثل هذا الاصلاح ، تسهيلاً للنشر العلم وتعميمه لثبتي الامة واللغة معا .

واجباً لهذا اذكر الاديب بما قرأ عن العادة وتأثيرها العظيم ما يعرفه عن العادة ، فقد ادرك تأثيرها الكبير في كل ما ياتيه الانسان في حياته كما

ادرك ولا شك صعوبة استئصال العادة المتمكنة منه ، كاستئصال ما فسد من اللغة مثلاً ، وسهولة اتیان ما يبتغيه الانسان بعد اكتسابها ، كسهولة رجوع العربي الى لغته .

فلغة العرب كما يعلم الاديب ، حفظتها البداوة واضاعتها الحضارة ، ولا تعيدها الان غير التي افسدتها ، اللهم اذا عم انتشار العلم . حفظتها البداوة في البادية ، حينما لم يخاطل العرب غير العرب ، واضاعتها في الحضارة منذ اختلاط العرب بالعجم ، لما بالعجمة من تأثير على اللغة .

فلغة العرب اليوم منقسمة الى شطرين عامية وفصحى ، والاولى هي السائدة في العرب بتأثير العادة التي عرفها الاديب . وقلم العرب ايضاً أي حرفهم الحاضر منقسم الى نوعين مستعمل وهو هذا ، ومهجور وهو ذوا الشكل او الحركة ، والاول هذا هو السائد فيهم لسهولة استعماله واختيار الانسان دائماً ما سهل عليه .

فالعرب سواء كانت في لغتها او حرفها ، لا تماثل الاعم الناهضة من هذه التاحية ، ولحرفها الحاضر هذا هو السبب في ذلك ، او المحور الذي تدور عليه الاعمال . هذا من جهة ، ومن جهة ثانية :

علم الاديب ان كل لغة على الاطلاق سماعية كانت او قياسية ، او كل لهجة من لهجات الاعم على الاطلاق ، لا يقرها في اصحابها غير تأثير العادة فيهم ، وبقدر تمكن العادة هذه من اصحابها يتفاوت الانسان بعضه عن بعض في احسان ما حسن من لغته ، والهكس بالعكس . فيطلب اليك المتمصبون للعربية الا تلهجن اذا قرأت او كتبت او خطبت مثلاً ، وهذا حق ولهم عذرهم في ذلك ، وانما هم يطلبون اليك ان تحسن ما لم تعتده ، اكبر مما اعتدت عليه ، وهذا عبثاً يحاولونه لمخالفته طبيعة الانسان مهما كنت ذكياً ، بل ظلماً يحاولونه اذا لم يسهلوا الطرق اليه مهما كنت ذا ذاكرة قوية . وذلك لان ما جاء عن طريق السماع كما يعلم الاديب ، لن يعود عن غير طريق ، مهما حاول الانسان ذلك .

فاللغة سماعية كانت او قياسية ، فلا تستقيم بالقواعد كما تريد ، اذا لم تعمل

بهذه القواعد حتى تعتادها وتصير طبيعة فيك . خذ مثلاً على ذلك كلمة « سمع »
يسمع مثلاً ، او بصر يبصر ، او سواها من الكلمات المألوفة او المتشابهة
بعض احرفها بغيرها لفظاً ، فانك لتجد المتعلمين حتى الاطفال ، فهم لا يضلون
في تهجاتها ابداً مهما ضعفوا ، الا ما نذر منهم . فهم يفرقون بين السين والياء
في سمع مثلاً ، والصاد والسين في بصر لاعتيادهم كتابتها كثيراً . في حين
انهم كثيراً ما يضلون في ضبطها لغة ، بل يستحيل عليهم ذلك حتى بعض
العلماء منهم ، على ان لا شبه بين الحركات كما تعلم ابداً وانما لعدم اتقانهم الحركة
كالخرف في الكتابة ليعتادونها . ولها . ولهذا اكبر ما يدلك على تأثير المادة
من هذه الناحية ، بل اكبر دليل على ان العادة لا تخون صاحبها ابداً . فتل
الطالبين اليك ان تحسن لغتك دون ان تتمارس على فصيحها او تعتادها
كثيراً ، كذل من يطلب اليك ان تحسن لغة ما دون ان تعتاد التكلم فيها .

فليعذرني اخي المتعصب للغة وحرفه بأن واحد اذا قلت له هذا هو
المستحيل . فاما ان نسمح لنا باصلاح حرفك ليسهل فتستقيم لغتك ، واما الا
تطلب ايها الفاضل الاديب احياء لغتك وهذا ما لا ترضاه . وليعلم بذات
الوقت اني من اشد المتعصبين لهذه اللغة او حرفها الذي يتعصب له وانما اعمل
بالمنطق لا بالذي لا يفيد . فطبيعة الانسان من هذه الناحية لا يغيرها الا
الذي فطرها وحده . واما ان الحركة الحاضرة هذه تغني عن اصلاحه
باستعمالها ، فتفضل واطلب الى الناس ايها الاديب استعمالها باي اسلوب شئت ،
تدرك ما لا تتجمله ، بل تفضل واستعملها لنفسك ايها الفاضل الكريم لتكون
قدوة للناس ولكن اظنك لا تحبب . وذلك لان الاقدمين منذ العصور
الطوال ، لم يلبسوها حروفهم لصعوبة فيها الا في كتب معدودة بحكم
الاضطرار ، او تلبسها ابتداء هذا الزمن وقد تغير كل شيء ؟

فالحركة لا بد من ادخالها في صلب الكلمة بشكل يحفظها ، ويسهل استعماله
لا اعتماد اللغة عليها ، وفي بقائها على ما هي عليه ، لنظل نحن على ما نحن عليه ،
ولنظل الحركة عثرة في سبيل الناشئة ما زال هذا الحرف . على ان الحركة
هذه التي وضعتها العرب بحكم الاضطرار خارجة عن الكلمة كما سبق ورأيت

هي الزم للغة من بعض حروفها لاتفاق العرب عليها منذ القديم ، وهي كل ما في اللغة من فصاحة وجمال ، بل هي كل اللغة لالتزامها كل حرف فيها ، ولان الاعراب الذي تملك فيه العرب ، لا يظهر الا فيها ، والاعراب هذا هو روح اللغة العربية كما يعلم الاديب . فتمسك العرب فيها واهلها بان واحد ، هذا بما لا افهمه ابداء . في حين ان الحركة هذه لو دخلت في صلب الكلمة كما يجب ، واعتادتها العرب في كتاباتها كما اعتادت الحرف ، لكانت بنعمة كبرى من هذه الناحية ، ولكانت العربية بحق سيدة اللغات .

فالذي اريد قوله ، بان اللغة التي لا تحيا الابحية الامة ، او الامة التي لا تنهض الا بالعلم كما يقول المفكرون ، يجب الا يكون حرفها صعب المأخذ قابلا للتأول ، لتأمن عليها او عليه من الحوادث في النهضات ، والا يتسرب منه اللفظ مهما دق وسال ، لتسهل علينا اللغة او يسهل التعلم ، وان تكون الحركة هذه في صلب الكلمة لانها تابعة للحرف ، لتمتلك اللغة بتأثير العادة عن طريقها الوحيد .

وهذا كل ما ينقصنا الان ونريد قوله . ولندخل في ميزة اصلاحنا ونقابله بالحرف الحاضر بعد هذا الكلام الطويل .

اصلاحنا وميزته عن الحرف الحاضر

اذا اعتبرنا الحرف الحاضر منفصلا ومجرداً عن الحركة والضوابط فعدده معروف ، واما اذا اعتبرناه مختلفاً عن بعضه شكلاً ، ما بين المنفصل والمتصل ، والطرف والمتوسط ، نژاد عن المئة كما يعلم ذلك كل منا ، وهذا العدد الوافر لا نستطيع ان نقسط به كلمة واحدة من كلام العرب .

واما اذا اودنا ضبط كلمة او كلاماً مثلاً ، لاحتجنا الى اربع حركات ما خلا الضوابط الخمسة المعروفة ، واذا اودنا تقييد كل حرف بحركته او ببعض الضوابط ايجاباً للمطبعة ، نژاد عن نصف الالف عدداً ، بل لبلغ ثلثي

الالف او اكثر من ذلك (٢) ، ولرجعنا الى اكثر مما كان عليه الاقدمون حينما كانوا يستعملون المقاطع قبل الحروف الابدجية هذه كما صر بك . ومع هذا لا نستطيع ان نخرج عن لغة العرب في كل هذه الاعداد الكثيرة . اترى الطيب الذي يطلب عربياً مثله ، هل يستطيع ان يكتب بحرفه هذا الى عربي مثله ايضاً في طلب الدواء ؟ كلا . وهكذا في كل بلد تستعمل حرف العرب .

فالحرف الحاضر يجب اصلاحه ايحباباً للعصر الحاضر ايها النيل احتراماً لاصحابه ولغتهم ، ولمثل هذا يجب التعصب ، لا لحرف يعجز عن تكييف اللغة فيما اذا اصلاح او اسلس عنانه ، وقد آن لنا ان ندرك ذلك . على ان اصلاحنا القائم على اساس هذا الحرف ، هو يقل عنه عدداً فيما اذا اعتبرت الحرف الحاضر هذا ، اربعين شكلاً فقط مع حركاته وضوابطه (٢) .

فاحرقنا الحديثة هذه وان كان عددها في لغة العرب ثمانية وثلاثين حرفاً فقط ، وانما يستغنى معها عن كل الحركات والضوابط المعروفة في لغة العرب ، وبزيادة احد عشر حرفاً ايضاً ، تكاد تكتب بها لغة الدنيا جميعها . فيكون والحالة هذه مجموعها تسعة واربعين حرفاً او شكلاً فقط . فحرف اللاتين مثلاً هو رغم انه قاصر في لغة العرب حيث لا يستطيع الكاتب ان يكتب به

(١) لا نبالغ اذا قلنا نعجز عن معرفة عدد الاحرف كما هي ، فلا يعلم عددها بالتدقيق ، الا الذين يشتغلون بالطباعة ، حتى قل منهم من يعرف عددها كما يجب . وذلك لان ادخال الحركة في الطباعة يقضي ان يكون لكل حرف على اختلافه شكلاً مستقلاً تسهلاً للعمل ، فكأنك ضربت ما يزيد عن المئة من اشكال الحرف بالحركات وبعض الضوابط كلها او بعضها وهذا علاوة عن بعض اصطلاحات لا نعلمها .

(٢) احرف الهجاء تسعة وثلاثون حرفاً كما هو معلوم وانما بزيادة التاء المربوطة والالف المقصورة والحركات الاربعة والضوابط الخمسة يكون مجموعها اربعين حرفاً فقط وهذا هو الاصل كما تعلم .

بيتاً واحداً من الشعر مثلاً ، ورغم انه ملتبس حتى في لغات الغربيين نسبة لهذا الحرف كما سيظهر لك ، فهو لا يقصر عن حرفنا هذا عدداً ، الا بما زادت به لغة العرب عن غيرها من اللغات .

هذا هو حرفنا الحديث من حيث عدده ، واما هو من حيث شكله ، فهو متصل ، ومنفصل تسيلاً للكاتب والمطبعة ، ومجسم واعتيادي في كليهما . والمجسم هذا يقوم مقام « الما جسكول » في مختلف الاعمال ايجاباً للمصر الحاضر . هذا من جهة ، ومن جهة ثانية ، ان حرفنا الحديث هذا وان كان قائماً على اساس الحرف الحاضر ، وانما يفرق عنه بما زاد به كما رأيت وبانتظامه لتناسب حروفه حجماً وعلواً مع المحافظة على الاصل والفن ، فهو كحرف اللاتين من حيث الانتظام وانما حروفه عربية خالصة ولا اشارة فيها ابداً .

✽ ميزة اصلاحنا من حيث السرعة والضبط والسهولة في استعماله ✽

واما من حيث سرعته او سهولة استعماله ، فاصغ لما اقله : يبادرك العربي بقوله ، الحرف الحاضر هذا اسرع واسهل من حرف اللاتين كتابة لدى استعماله ، وان سطرأ واحداً منه ، ليقابل سطرين او اكثر من حرف اللاتين ، وان الكاتب مثلاً ، ليستطيع ان يكتب في صفحة واحدة ما لا يستطيعه في صفحتين بحرف اللاتين ، والى غير ذلك من البراهين من حيث السرعة والتوفير . وهذا جواب كل عربي على الاطلاق سواء كان من المتعصبين لحرف العرب او لحرف اللاتين ، وقد سهي عن بال كل منهما ، بان الحرف واحد من هذه الناحية لو راعوا الواقع او راعوا اللغة ، وان حرف اللاتين لا يقل سرعة عن حرف العرب اللهم اذا جردته من قيده المجرد منه حرف العرب فخذ كلمة كتب مثلاً واجعلها بالحرف الغربي المجرد من القيد كما كان ذلك في عهد اليونان الاول . كانت Ktb بدلاً من Kataba المقيدة .

وهكذا كل ما اردت قوله سواء كانت اللغة شرقية او غربية ،

وباستطاعة كل امة ان تأتي ذلك فيما اذا ارادت الخروج من قيد اللفظ او القضاء على لغتها . ولكن هل من امة تأتي ذلك ؟ كلا . او هل العرب تاركة تقيد الحرف لتكون معها ؟ كلا .

فانا لا ارى فرقا بين الحرفين اذا جردا من التقيد او القيد ، بل حرف اللاتين مع تقيده ، لاسهل على المطبعة من حرف العرب الحاضر هذا الذي لا قيد له ، والدليل على ذلك سهولة استعماله في المطبعة كما يعلم ذلك العاملون فيها ، والمطبعة هي التي يعول عليها وحدها في نشر العلم كما ترى .

فالتقيد لا يقاس بغيره ايها الاديب المنصف ، وانما يقاس الشيء بمثله ، فان كان ولا بد من القياس ، فاستعمل الحركة وقس بعدها ما شئت .

على ان اصلاحنا او حرفنا هذا ، وان يكن من هذه الناحية اقرب الى حرف اللاتين منه الى حرف العرب ، غير انه غير ملتبس بحركته كالتياس حرف اللاتين بالحركة اي « احرف الصوت » . فلو اراد العربي ان يسرع بقله مثلا ، وشاء ان يهمل الحركة ، لاستطاع ذلك ، ولما التبس على القاري شيء لميزة اصلاحنا من هذه الناحية على سائر الاحرف في العالم . فهو لا يفرق والحالة هذه سرعة عن الحرف الحاضر فيما اذا كان لا ينقصنا الا السرعة وحدها في الكتابة . على ان العرب هم بحاجة الى نشر العلم وتسهيله ، وضبط اللغة بسرعة ، لا الى السرعة التي يذكرونها ، هذه التي لا طائل تحتها كما يعلم الجميع . فالوقت الثمين هو هذا الذي تقتله بمثل هذه الاقاويل ، لا الذي تذكره وتدعوه به ايها العربي النحيل ، ومع هذا كثير هم الذين يقولون ، اشكل من الحرف ما يشكل ، واكتفي بذلك مثلا صونا للغة واختصاراً لك ، ولهذا الاصلاح وحده هو الذي يسهل ما يطلبونه لما به من ميزة لا تدرك الا بعد الاختبار ، مهما اردنا تصويرها الى القاري الكريم وهذا ايجابا لطباع العرب ونزولا عند غائبهم .

فحرقنا الحديث هذا وان كانت الغاية من وضعه تسهيل التعلم ليمم العلم والمحافظة على اللغة بذات الوقت ، وانما راعينا بالدرجة الاولى سهولة استعماله من كل نواحيه ايجابا لطبايع العرب ، كيلا نترك بابا يدخل منه المعترضون .

فهو يستعمل مقيداً ، ومطلقاً ، ومتصلاً ومنفصلاً ، وفصيحا ، وعاميا ، وشرقياً وغربياً . وكما تريده . على انه في كل ذلك لا تلبس العربية الفصحى بخلافها من اللغات حفظاً لها ، ولا زيادة في احرفه ، ولا اشارة فيها ابداً ، وسهله وسريع في كل ذلك .

سائر ميزة اصلاحنا

واما سائر ميزته ، فقد قرأ الاديب شيئاً عنها في التمهيد ، وقد يطول الكلام عنها كثيراً ، اذا اردت ان اذكر كل ما لم اذكره ، ورغماً عن هذا لو علمت ان القاري الكريم ، يقتنع بما اقوله دون الاختبار لفعلت ، وانما لا يقتنع ، وليس الايمان كاليقين ، ولهذا اقتصر على ما ذكرته منها لهذا السبب ، واطلب الى اولياء الامور الاهتمام بهذا الاصلاح ، لتظهر لهم ميزته في مجالس يحق فيها الحق ، وهذا اسهل علينا واوضح لهم مما منذ كره ، وعند الصباح يحمد القوم السرى ،

فوائد اصلاحنا وكلمة قبل ذلك

نجمع الانسان في هذه الحياة جامعات كثيرة منها الجنسية ، والقومية ، والوطنية ، واللغوية ، وغيرها ، وكل هذه الجامعات سائرة بحكم التشوه والتطور الى الامام حيث الكمال والارتقاء . وهذه الجامعات كلها او بعضها ، لا تجمعها على اختلافها الا رابطة الحرف وحدها ، رغم ان الرابطة هذه هي الوحيدة التي لا يقل تطورها نسبة الى هؤلاء الجامعات كما هي الحالة في كل حرف . على ان هذه الرابطة ايضاً ، اي رابطة الحرف ، يتوقف مصيرها على قوة الحرف وضعفه ، وسهله وصعبه ، فيحفظ بها ما حسن حرفها كما احتفظ الغربيون بحرف اللاتين دون لغتهم مثلاً ، وبمكس ذلك لا يحفظ

بها ما صعب حرفها كما فعل الترك ولم يحتفظوا بحرف العرب .
فالتطور والارتقاء امر واقع لا شك فيه ، سنة الله في خلقه كما تعلم .
وحرف العرب الحاضر كما يعلم الاديب الحبير ، غل وناقص وصعب المأخذ
ولا بد من اصلاحه بشكل يرغب فيه . فباصلاحنا هذا له ، كاننا امناء و دعمنا هذه
الناحية الكبرى ، علاوة عن منافعها الكثيرة ، ولا يخفى ما في رابطة
الحرف من الفوائد التي يدركها كل حكيم ، لا سيما الفائدة العلمية القائمة
على الحرف بعد اللغة .

اما فوائده من حيث هي ، فكثيرة جداً واكثر من ان تحصى لا ذكرها ،
هذا اذا اعتبرنا الحرف سبيل العلم والعلم باب الرقي ومدخله الوحيد ، فاحص
منها الفائدة العلمية ، والقوية ، والاقتصادية فاذا ذكرها باختصار و اترك ما بقي منها
الى القاري الكريم لا سيما الفائدة المدنية الكبرى .

❦ الفائدة العلمية ❦

اما الفائدة العلمية ، فما اشبه العلم بمكان يرغب فيه ، ويصعب الوصول اليه ،
ولهذا الاصلاح هو الذي يسهل الوصول الى كل ما يرغب فيه الانسان
وييسره على كل شيء يريد .

فالدراسة الاولى اذا عمت مثلاً ، كثير الراغبون في العلم ، والنبوغ في
الانسان لا يظهر او لا يكثر ، الا اذا كثير المتعلمون والمتعلمات ، وهذا
كل نطمح اليه .

فالحرف الحديث هذا لا يترك سبيلاً لنفس ما دخلت المدرسة وخرجت
منها دون ان تعرفه وتدركه ، وتقرأ كل ما تريده ، وما من بشر عاقل على
الاطلاق يعجز عن تعلمه او يكون له مانع عن ذلك مهما كان معوزاً وفقيراً
نظراً لسهولته وسرعة ماخذته . واي من البشر مثلاً لا يستغني عن ولده
شهوراً واحداً او شهرين ، او سنة على فرض التقدير ليتعلم فيها مثلاً ؟

وعلم ان الولد المدرك لا يحتاج الى اكثر من شهر واحد في تعلم القراءة مهما ساء التعليم كما علمت .

فالفائدة الاولى التي يتطلبها مستعملو هذا الحرف ، او الغرض الاول الذي يرمون اليه وهم في هذا الحال ، هو ان يعم العلم المحيط ليرتفع مستواه . وهذا الذي يحصل اولاً بهذا الاصلاح اذا عمل به .

واما الفائدة العلمية الكبرى التي نتصورها بعد ان يعم العلم وينتشر ، فاكنت لادخلها في مثل هذا المجال القصير او الكلمة المختصرة ، لا سيما وكل ما نلسه من رقي في هذا الوجود هو مما يقينا عن كل كلام . ولا اراني مبالاً اذا قلت للاديب ، ان هذا الاصلاح الذي اقدم به اليه ، لا كبرمساعدة له في دنياه في كل ما يحتاجه ، فليتصوره بعد هذا الكلام كما شاء ، وليتصور الفائدة العلمية التي ينتجها .

فالذي اريد قوله في هذا الاصلاح ، او الحرف الفريد من نوعه من هذه الناحية ، هو انه يسهل نشر العلم والتعلم كثيراً ، وقضي على الامية قضاء مبرماً لا حياة لها بعده ، كما وانه يسهل كل ما يحتاج اليه العرب من النسخ او الترجمة من العلوم الحديثة ، لا سيما ما تفتقر اليه العرب في مدارسها او كلياتها من العلوم الطبيعية كالطب والكيمياء ونحوها ، هذه العلوم التي تحتاج اليها العربية او العرب .

فالعلوم الطبيعية ومنها الكيمياء مثلاً ، هذه التي سيطر بها الغربيون على الشرق ، لا سهل علينا ضبط مسمياتها بهذا الحرف منه بحرف اللاتين ، بل لا سهل علينا ضبط لغات الغربيين من حيث هي بهذا الحرف ، وهذا ما لا يستطيع بالحرف الحاضر ابداً كما يعلم ذلك الاديب .

حجج الفائدة اللغوية

واما الفائدة اللغوية التي تحصل بهذا الاصلاح ، فقد قرأ الاديب عنها الشيء الكثير ولا اظنني في حاجة الى اكثر مما قرأ اختصاراً للتطويل ، الا الى اجمال ما قرأ منها فاقول :

ان الفائدة اللغوية كما يعلم الاديب لا تكون الا بانتشار اللغة ، وانتشار

اللغة لا يكون الا بتميزها وتسهيلها ، وبقدر انتشار اللغة تكون الفائدة منها . فاللغة العربية ، ولان انتشرت بانتشار الاسلام اولا وانما تراجعت كثيراً فيما بعد بتراجع مجد العرب ، غير انها ما زالت قابلة للانتشار كثيراً اللهم اذا مهد لها ، وذلك لما باللغة هذه من علاقة بالدين من جهة ، وما للعربية من المكانة الادبية بما تركه الاولون .

فستعملو هذا الحرف اذا عدوا ، لا يقلون عدداً عن ربع المليار تقريباً كما يعلم الاديب ، ومعظمهم لا يقل رغبة عن العرب في تعلم لغة العرب لغة كتابهم الكريم ، وهذا علاوة عن الذين من شأنهم ان يميلوا الى ما في خزان اللغات من الادب .

فالذي اريد قوله بان اللغات ولان كانت لا تنتشر الا بانتشار الدولة وعظمتها كما تعلم ، وانما لغة العرب وحدها تخالفها جميعها من هذه الناحية ، لو لا انها ينقصها التسهيل والتشذيب ، لا سيما تسهيل حرفها وضبطه ، هذا الذي اوجدناه . وانما بعد هذا الاصلاح الذي قرأته ايها الاديب ، فلا بد للغة من الانتشار ، ولا بد للفصحى من الرجوع الى اصلها ، وهذا كل ما نتمناه من هذه الناحية . واي فائدة اعظم من ان ترجع هذه اللغة الى رونقها بظرف غير بعيد ؟ بل اي فائدة اعظم من ان ترجع الى رونقها دون ان يشعر بها ابداء في حين اننا تأمل بعد هذا الاصلاح ان تكون الفائدة كبيرة جداً اكثر مما بلغت اليه العرب في مجدها من هذه الناحية ناحية الادب ، لميزة هذا العصر عن عصرهم كثيراً ، ولميزة هذا الحرف الذي يترحب بالفصحى ليقبمها في حضارته .

الفائدة الاقتصادية

واما الفائدة الاقتصادية او الثروة الذهبية هذه المسيطرة في الكون والحاكمة في الاعناق ، فهي حاصلة لكل فرد من الامة بهذا الاصلاح على اختلاف الطبقات فيها ، لاعتماد كل فرد منها على الاقتصاد والذهب

بلا استثناء . وذلك لان الانسان يوفر عليه بهذا الاصلاح وقتاً ومادة وحسب ، بل لان كل عمل يأتيه الانسان في هذه الحياة وهو عالم او يحسن القراءة مثلاً ، لخبر له من ان يأتيه وهو جاهل مهما امتاز في خلاف ذلك . وهذا مما يوجد هذا الاصلاح كما تعلم .

هذا من جهة ومن جهة ثانية ، ان الفائدة المادية او الاقتصادية هذه لا تقتصر على الامة وافرادها ، بل الفائدة الكبرى هي التي تعود الى خزينة الامة او الدولة هذه التي يتوقف نموها على نمو الامة وعلى كل اعمال الامة التجارية منها والزراعية وغيرها ، بل على مدنية الامة من حيث هي ورقبها في كل شيء . فالدولة او الامة من هذه الناحية ، ناحية الاقتصاد ، مما ترك البحث فيه لرجال الاقتصاد او رجال الدولة الذين يستطيعون ادراك ذلك ويقدرونه فيما اذا ارادوا تقديره .

ولاذكر ، كلمة تتعلق بالمعارف من هذه الناحية ناحية الاقتصاد ، وهي اسهل علينا من الاولى لظهورها جلياً فاقول :

لنفرض ان الدولة المصرية مثلاً ، يبلغ عدد نفوسها خمسة عشر مليوناً لا اكثر ، ولنفرض ان الاطفال او الاحداث فيها ، عشرة في المئة لكانوا مليوناً ونصف المليون . وهؤلاء هم الذين يبدوون بالالف باء اذا تعلموا وهم الذين جعل لهم هذا الاصلاح بالدرجة الاولى .

ولنفرض بان الدولة المصرية الناهضة ، عازمت ان تعمم التعليم الاجباري الابتدائي مثلاً ، وخصصت لهؤلاء الاحداث مليوناً ونصف المليون من الجنيهات في كل سنة ، لكان ما تدفعه عن كل طفل في كل سنة جنيهاً واحداً فقط .

ولنفرض ان سنة واحدة لا غير كافية لكي يتعلم فيها الطفل القراءة الابتدائية بالحرف المشكل الذي تعرفه . في حين ان التعاليم بالحرف الحديث هذا اي اصلاحنا ، لا يستغرق اكثر من عشر هذه المدة مهما تساهلنا في التعليم او مهما اجحفنا بحقيقة هذا الاصلاح . فعلى هذا التعديل

والقياس ، كأننا دفعنا مئة وخمسين ألفاً فقط بدلا من المليون والنصف ،
ووفرنا للخزينة تسعة اعشار هذا المبلغ ، ، اي مليوناً وثلاثمائة وخمسين ألفاً
من الجنيهات في كل سنة . وهكذا قل في كل دولة من دول العرب ، او في
كل دولة من دول هذا الشرق التي تستعمل حرف العرب ، مع مراعات
النسبة في ذلك .

او لو فرضنا ان الدولة المصرية مثلاً ، تدفع مبلغاً ما لقاء تعليم فئة من
الاحداث ، او قل عشر الاحداث مثلاً ، فهذا الحرف الحديث اي بحرقنا
هذا او اصلاحنا ، نستطيع ان تعلم بذات المبلغ كل ما فيها من الاحداث
بدلا من عشرهم . فعنى هذا الكلام ، كأن الدولة المصرية ، مثلاً عمت
التعليم الاجباري الابتدائي في طول البلاد وعرضها دون ان تدفع جنيهاً
واحداً او درهما واحداً زيادة عما تدفعه الان . وهكذا قل ايضاً في كل دولة
من دول العرب ، او مستعملي حرفهم وما احوج الجميع الى تعميم العلم
ونشره .

فهذه هي الفائدة الاقتصادية الكبرى التي لا جدل فيها ايها القاري
الكريم .

فمثل هذا الحرف الحديث من حرف العرب الحاضر من هذه الناحية
وحدها اي ناحية الاقتصاد ، كمثل القطار السريع او السيارة التي تجتاز
الصحراء في يوم واحد بدلا من القافلة التي تجتازها في عشرة ايام ، وهذا
كل ما في علم الاقتصاد من توفير سواء كان ذلك في الوقت ، او المادة علاوة
عن الراحة التي يشعر بها الراكب في سفره .

فالذي اريد قوله بعد كل ما مر بالاديب ، ان هذا الاصلاح الذي اتقدم
به الى القادة الكرام ، هو وان تكن الغاية منه نشر العلم حتى يعم ، واضبط
اللغة حتى تعود الفصحى ، وانما جاء ايضاً مفيداً من هذه الناحية ناحية
الاقتصاد كما جاء مفيداً من تلك الناحية التي صرفها الاديب .

ولان فرضنا بان في القياس هذا شيء من الخطأ او الزلل من هذه الناحية
او شيء من المبالغة مثلاً ، كما يظن البعض ، فلنحذف نصف ما قدروناه مثلاً

من التوفير ومع هذا لتجدن اصلاحنا مما يوجب الاهتمام به كثيرا ، على ان كل آت قريب ، ولسوف تتجلى الحقيقة قريباً باجلى وضوح .

هذا وقد انتهينا من ميزة هذا الاصلاح وفوائده ، كما انتهينا سابقاً من الوصول اليه . فاعتقد ان الاديب الفاضل ادرك ولا شك غايتي من ايجاده بعد كل ما رأى ، كما ادرك بعض بقيتي وما ارمي اليه . ومع هذا لا بد لي من كلمة في استعماله في بدء الامر ، ليري القاري الكريم ، او المعارض علينا كيف نحفظ بحرفه الحاضر هذا ، وكيف نسهل عليه وطأة هذا الاصلاح من كل نواحيه بذات الوقت . وهذا ايجابا لما وعدته به في اواخر هذا التمهيد فاقول :

كيف نحفظ بالحرف الحاضر هذا بعد اصلاحنا

— وكيف يجب ان يكون اصلاحنا —

ان الغرض من هذا الاصلاح ايها الاديب مما لا تجمله ابداء فهو اصلاح في كل شيء بالمعنى الحقيقي لا في هذا الحرف وحسب ، فهو لا كما يظنه البعض بانه يقضي على الحرف الحاضر مثلاً ، او يكبد الامة شيئاً من الحسائر المادية او الادبية او خلافهما ، بل هو بعكس ذلك كما ترى .

ان الانقلاب الذي احدثه هائل الترك من هذا النوع في دولته ، هو رغم انه كبد الخزينة التركية المبالغ الطائلة الكثيرة ، ورغم انه كبد الامة التركية ، الحسائر المادية والادبية ، هو ايضاً كانت وطأته ثقيلة على الاكثرية الساحقة من الاتراك ، في حين ان الكهول والشيخوخ او الشبان من الاتراك ، هؤلاء الذين يصعب عليهم تغيير ما اعتادوا عليه ، لما لتغيير العادات من تأثير كما علمت ، قلما استفادوا من هذا الانقلاب شيئاً ، وانما استفاد الاحداث وحدهم بحكم الطبع .

فالذي اراه ان الحكمة والتؤدة في مثل هذه الاعمال الكبيرة ،
توجب علينا ان يكون الانقلاب او التطور في الاعمال كلها طبيعياً ،
لا ان يصطدم الانسان بما يخالف طبعه فيضطرب باعماله كلها ، ويحصل
ما نتأباه ونحذره .

فلهذا ارى ان يكون هذا الاصلاح للاحداث الذين لم يبدأوا
بالالف باء دون غيرهم ، لا للذين عرفوا الحرف الحاضر هذا واعتادوا
عليه . وذلك كيلا نشعر بوطأته المادية او المعنوية ، او الادبية ، بخلاف ما
فعلت الاتراك كما تعلم .

واما في المدارس الثانوية ، او فيما خلاف المدارس الابتدائية او التمهيدية
هذه ، فارى ان يكون فيها كدرس من سائر الدروس اللغوية او ما يقابلها
فقط ، اي بعكس ما هو في المدارس التمهيدية هذه التي تبتدي به وتدرس
به حتى الانتهاء فكانتنا والحالة هذه لم نشعر بوطأة هذا الاصلاح المادية
او المعنوية ابدا .

وكان هذا الاصلاح الكبير او المفيد كما رأيت ، كدرس اعتيادي بسيط
لا نشعر بوطأته من جهة ، ونحتفظ بالحرف الحاضر هذا كما رأيت من
جهة اخرى .

✽ كيف يحصل التوفير ✽

فالاصول الجارية الان في مداوس العرب الابتدائية او الصفوف
التمهيدية منها ، هو ان يبتدء الاحداث في الالف باء مشكلة ، ومنها يتدرجون
بالقراءة المشكلة درجة قدرجة حتى انتهاء السنة . وهكذا يتدرجون بعد ذلك
حتى يحسنوا القراءة بالحرف المشكل ، ومن ثم يترفعون الى هذا الحرف
الذي لا شكل فيه ، بعد ان يكونوا قد مارسوه في خلال دراستهم وقتاً طويلاً
كما تعلم لما فيه من شواذ .

فتمن بدلا من الحرف المشكل هذا الذي لا يلبث ان يتحول الى الحرف
الذي لا شكل فيه ، نبدء بهذا الاصلاح الذي لا يتغير بغيره في سفي التدريس

فيفهم بسرعة لانتظامه وسهولة مأخذه من جهة ، وتسهيل معرفة الحرف الحاضر هذا بعد ذلك ، كما تسهل على المتعلم معرفة هذا الاصلاح . ومن هنا يحصل التوفير الذي تؤمله لعدم تبدله بغيره ، وسهولة مأخذه كما علمت .

اصلاحنا في سائر الاعمال وفي خارج المدارس

هذا في المدارس الابتدائية منها او الثانوية وخلافها ، واما في خارج المدارس ، فقد قرأ الاديب عن سهولة مأخذ هذا الاصلاح ما قرأه ، ومع هذا نحن لا نقول لمن اعتاد على الحرف الحاضر هذا ان يعمل به .

فلاعمال كلها باقية على ما كانت عليه ، حتى يحل هذا الاصلاح مع توالي الايام محل الحرف الحاضر هذا ، وانما من شاء من الكتاب ، كتب بهذا الحرف الحديث ومن لم يشأ بقي على حرفه ما زال كلا الحرفين متشابهين او كأنهما حرف واحد .

فكاننا والحالة هذه لم نشعر بانقلاب ما يزعجنا بخلاف اي انقلاب كان ، دون ان نتكبد خسارة ما على الاطلاق في ذات الوقت .

ارأيت ايها القاري الكريم كيف لا تشعر بهذا الاصلاح بخلاف ما يتصوره البعض ؟ ولان رأينا اعتراضاً ما بعد هذا ، فذلك لا لان هذا الاصلاح لا يصلح ، بل لان بعض المعترضين مع الاسف لا يملذ لهم الا الاعتراض .

يقولون لك هاك الانكليز مثلاً ، وهاك حرفهم الصعب . فهم لا ينسقونه كما فعل احفظاً بما لديهم ، او ما نقندي نحن ، بالانكليز مثلاً ؟ ام اننا نمتاز عن الانكليز لتفعل ؟

وما اشبه من يقول لك هذا ، بمن يريد ان يقندي بك ، وبينكما المدى الواسع الشاسع . او العرب كالانكليز يا ترى لتمشي الهوينى الى الامام ؟ او الفقير كالغني لينفق عن سعة من ماله ؟ او العربي آلى الا يكون اماماً او مقدماً بعد ان بلغ ما بلغ اليه ، ولهذا الذي اختار فيه ابداً ايها العربي النبيل .

بقاء الحرف الحاضر

فالذي اريد قوله في صيانة الحرف الحاضر هذا اي حرف العرب ، هو وان يكن حرفنا الحديث او اصلاحنا قائماً على اساسه ومشابها به كثيراً ، هو ايضاً يجعل كدرس من سائر الدروس في المعاهد كما رأيت ، لنحتفظ بما لدينا من اثر الاولين مع توالي السنين من جهة ، ولكيلا يفرق شيء على المعتادين عليه بادخال هذا الاصلاح من جهة اخرى ، وهذا كل ما يحتاجه المعترض الذي يمجنا بعد كل ما رأيت .

خاتمة وطلب وغرض

هذا وقد آن لنا اخيراً أن ندخل في الختام بعد هذا الاسهاب والتطويل لنقول كلمة للقاري الكريم ، فيما اذا خالج بعضهم شيء من الشك بما ذكرناه دفماً للريب من جهة وايجاباً للمصلحة العامة من جهة اخرى فاقول : قال سيد العرب « انما الصبر عند الصدمة الاولى » وقال « علو الهمة من الايمان » ولتجدني انشاء الله ايها القاري الكريم من الصابرين والمؤمنين بالنجاح .

فاول طلب مني اليك ، هو التثبت مما قلته او قطعت قبل كل كلام ، والمنصف منا ، من لبي واجاب ، لا من جادل قبل الاختيار . فاذا قلنا للناس ، هذا هو اصلاحنا يا قوم ، فادفعوا الينا اولادكم عربا كانوا او عجماء ، لنعيدهم اليكم يقرأون في ظرف لا يتجاوز نصف الشهر فذا نكون ؟ او ماذا نقول يا ترى ؟ . واما كيف ذلك ؟ فهذا من شأنى ، ولربما كانت لي خطة اقطع من السيف ، واسهل عليك من شرب الماء . فانا لا اطلب جزاء على عملي ولا شكورا ، لاحتاج الى المبالغة مثلاً ، في

عمل قمت به ، ولان قمت بعمل كهذا ، فبدافع الواجب وحده كما يدرك ذلك
التبيل ، وجل ما اطلبه الان الى اولياء الامور ، هو اهتمامهم بهذا الاصلاح
الذي اتقدم به للتثبت منه وتحقيقه بعد ذلك ، وهذا مما لا يكلفهم شيئاً .

اما شكل هذا الاصلاح اي حروفه التي يجب التثبت منها من كل وجوها
قبل الاقدام والاجواب على كلتي فهي موجودة لدي ، واحتفظ بها لحين الطلب
اذا شئت القادة ذلك ، وانما ما كنت لا سعی الى تفكك هذه الرابطة بعد
ان قرأت كلتي ايها الفاضل فاطهرها قبل ان تنفق الكلمة عليها او على
بحثها واختبارها ، واطنك لتعذرني ولا تكلفني الى شيء من هذا ، قبل تشكيل
لجنة فيها اللغوي والفنان والمدرس والخير بالطباعة ، لاختبارها من كل
نواحيها . او لا تكلفني الى شيء من هذا قبل التفاهم والاتفاق وهذا اقل ما
يكون . وانا لا اطلب اليك شيئاً ما لقاء عملي ابداء ، الا الاهتمام ، فالتثبت
فالعمل متى حق الحق ، وحفظ هذا الحق الادبي فقط .

فالذي اريد قوله اخيراً ، هو اني اوجه ندائي هذا الى كل مفكر غيور
من قادة الامة رادباؤها ، لا سيما شبابها الذين نبني عليهم كل الامال
الجسام ، وامد يدي الى كل مخلص لهذا الوطن في هذا المشروع الخطير ،
وانتظر صدى تأثيره في طول البلاد وعرضها لاجيب على كل جواب يرد
الي بالشكل الذي استطيعه او يمينه المرسل ، ولربما يتطور كل رأي او كل
اتجاه في العمل بهذا الاصلاح ايجاباً للمصلحة العامة التي نسمى اليها قبل
كل شيء .

وانما الذي امله بل آتمناه ، ان تهتم الحكومات اولا من التثبت مما
ندعيه ، او ان يطلب اليها شعوبها لا سيما نوابها الكرام هذا الطلب الحق ،
لجلاء الحقيقة التي ندعيها في هذا البيان هذه التي هي كل ما نصبو اليها
الام في هذا الشرق ، وذلك حفظاً لرابطة هذا الحرف التي يدركها
كل حكيم خبير .

واني لا نغني ايضاً ، لو تعبر هذه الفكرة اولياء الامور اهتمامها كما يجب
فتتفق بعد المناظرة على انتخاب لجنة كبيرة مشككة من كل دولة تستعمل هذا

الحرف ، ومفوضة من قبلها لبحث هذا الاصلاح الكبير من كل نواحيه
والثبت من كل ما ندعيه فيه ، وهذا ضمن لكل منها ، واظهر للحقيقة ،
واقرب مجالا للعمل ، واذا لم يكن ذلك فلا اقل من ان تتفق
عليه دول العرب جميعها ، وما احراها بهذا لانها صاحبة هذا الحرف
او الحق بالدرجة الاولى وهذا كل ما اريد قوله الان ايها الوطني الفيور .

الخلاصة

والكلمة الاخيرة التي اعتذر بها عن طول هذا الكلام ، او الخلاصة
التي لا بد من قولها ايجابا لفصل الخطاب هي :
ما ذكرت الحرف منذ تكونه ، وذكرت ادواره التي تقلب فيها ، الا
لابين اصله للذين يدافعون عن اصلاحه ، فلملم هؤلاء على اصلاحه
يقدمون .

وما ذكرت الاولين خاصة من واضعيه ، الا لاذكر الذين بهم ميل
الى اتخاذ غيره بدلا منه ، ولا يذكرون اسلافهم فيصالحونه ، فلملمهم ايضا
هؤلاء عن رأيهم يرجعون .

وما ذكرت العرب وتطوره فيهم . واجهادهم الانفس لضبط اللغة الفصحى
به ، الا لاذكر الذين خرجوا على سنتهم باهماله ، فلملم العرب ايضا باجدادهم
يفقدون .

هذا من جهة ، ومن جهة ثانية .

ما ذكرت قفره وتطوره ، بتفرع اللغات وتطورها ، الا لاذكر
مستعمليه ، بوجوب اصلاحه اختشاء عليه من ذلك ، وعلى العربية
ايضا من التفرع ، لاسيما بعد هذا الانقسام السياسي الكبير ، وليس لنا
في ذلك شاهد ادل من التاريخ الذي اوردناه « فذكر ان نعمت الذكرى »
على ان هذا لا يلزم في كل هذه السلسلة التي ضمت حلقاتها معظم
الشرقيين والغربيين ، ولا يلزم في ذكر العرب خاصة بانسحاب تجاوزهم
الي ما يطلبونه ، ولا ذكر الطبائع واختلافها ، والعادات وتأثيرها ، والامم

ومصيرها ، لو لا اني اريد ان احس العرب على هذا الاصلاح الخطير ، بل
واحس الشرق على النهضة والوآم ، فاما سلباً بمد هذا واما قبولاً ، والى
الله بمد ذلك ترجع الامور .

الكورة لبنان في محرم سنة ١٣٥٧ هـ . الموافق آذار سنة ١٩٣٨ م

المخبرة في طرابلس الشام

عبد الله هدى الايوبي



﴿ بعد انتهاء الطبع ﴾

كثرة الاغلاط المطبعية او التصحيف في هذه الرسالة ، جاء ايضاً كدليل على سوء هذا الحرف من كل نواحيه ، رغم الاعتناء الكبير والاهتمام . ولما لم يعد بالمستطاع التنبيه الى كل الاغلاط ، اقتصرنا على تصحيح بعضها او اهمها وتركنا ما بقي لمعرفة القاري الكريم وخير الناس من انصف واعذر

ص	سطر خطأ	صواب	ص	سطر خطأ	صواب
٣	١١	نعم هذا النصير، هذا نعم النصير	٦٩	١٤	تجويره تجويده
٨	٢٢	ويقادها ويعتادها	٧٠	١٠	تحت تحت
٩	٢٥	لمصلحة للمصلحة	=	٢٢	اورفعوا ورفعوا
١٩	٥	في سائر وفي سائر	٧٤	١١	يستقرب يستغرب
٣٢	٧	الفتة الفتة	٧٨	٢٦	ولا كما كما
٣٣	٢	هذا الذي بلا، هذا الذي مازال بلا	٨٠	٥	اولا ولا
٣٥	٥	بعدان قضى، ومن ثم قضى	٨٣	١٠	يرتأي يقتدي
=	٦	للعلايين للعلاميين	٨٥	١٣	ولهذه وهذه
٤١	١	الالفاظ الانباط	٩٠	٣	انلا تعجل لا تعجل
٤٤	٢٣	من الشرق من الرق	=	٦	وعلى اثبت ان لك، وعلى ان اثبت لك
٤٧	٥	الخطارة الحضارة	٩٣	١٥	هي هي، هي سنة
٤٨	٢٣	الا في لا في	٩٤	١٨	افوى من الذين اقوى في الذين
٥٣	٢	قبل قيل	٩٥	٢	منهم فيهم
=	٨	بيتاً حرباً لبيت	٩٨	١٠	الذكتورية اوالذكتورية
٦٢	٢٤	الخوين النحوين	=	١٨	الحمول الحمول
٤٤	١	في واضعها من واضعها	١١٦	١٠	بانتشار بسيادة
=	٢	سياسية اساسية	١٢٥	٤	الكورة لبنان، الكورة لبنان
٦٧	٦	السهيل التسهيل			الخبرة في طرابلس الخبرة - طرابلس

قطعة بالحرف الفنيقي اصل الحروف الابجدية

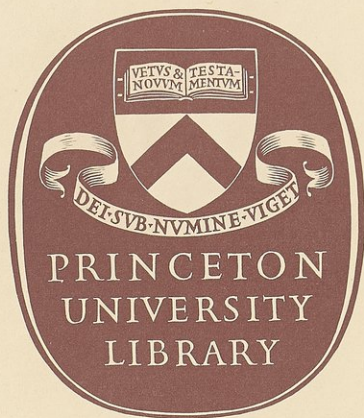
١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ١٠ ١١ ١٢ ١٣ ١٤ ١٥ ١٦ ١٧ ١٨ ١٩ ٢٠ ٢١ ٢٢ ٢٣ ٢٤ ٢٥ ٢٦ ٢٧ ٢٨ ٢٩ ٣٠ ٣١ ٣٢ ٣٣ ٣٤ ٣٥ ٣٦ ٣٧ ٣٨ ٣٩ ٤٠ ٤١ ٤٢ ٤٣ ٤٤ ٤٥ ٤٦ ٤٧ ٤٨ ٤٩ ٥٠ ٥١ ٥٢ ٥٣ ٥٤ ٥٥ ٥٦ ٥٧ ٥٨ ٥٩ ٦٠ ٦١ ٦٢ ٦٣ ٦٤ ٦٥ ٦٦ ٦٧ ٦٨ ٦٩ ٧٠ ٧١ ٧٢ ٧٣ ٧٤ ٧٥ ٧٦ ٧٧ ٧٨ ٧٩ ٨٠ ٨١ ٨٢ ٨٣ ٨٤ ٨٥ ٨٦ ٨٧ ٨٨ ٨٩ ٩٠ ٩١ ٩٢ ٩٣ ٩٤ ٩٥ ٩٦ ٩٧ ٩٨ ٩٩ ١٠٠

قطعة بالحرف العربي الحميري

١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ١٠ ١١ ١٢ ١٣ ١٤ ١٥ ١٦ ١٧ ١٨ ١٩ ٢٠ ٢١ ٢٢ ٢٣ ٢٤ ٢٥ ٢٦ ٢٧ ٢٨ ٢٩ ٣٠ ٣١ ٣٢ ٣٣ ٣٤ ٣٥ ٣٦ ٣٧ ٣٨ ٣٩ ٤٠ ٤١ ٤٢ ٤٣ ٤٤ ٤٥ ٤٦ ٤٧ ٤٨ ٤٩ ٥٠ ٥١ ٥٢ ٥٣ ٥٤ ٥٥ ٥٦ ٥٧ ٥٨ ٥٩ ٦٠ ٦١ ٦٢ ٦٣ ٦٤ ٦٥ ٦٦ ٦٧ ٦٨ ٦٩ ٧٠ ٧١ ٧٢ ٧٣ ٧٤ ٧٥ ٧٦ ٧٧ ٧٨ ٧٩ ٨٠ ٨١ ٨٢ ٨٣ ٨٤ ٨٥ ٨٦ ٨٧ ٨٨ ٨٩ ٩٠ ٩١ ٩٢ ٩٣ ٩٤ ٩٥ ٩٦ ٩٧ ٩٨ ٩٩ ١٠٠

قطعة بالحرف العربي النبطي قبل الاسلام

١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ١٠ ١١ ١٢ ١٣ ١٤ ١٥ ١٦ ١٧ ١٨ ١٩ ٢٠ ٢١ ٢٢ ٢٣ ٢٤ ٢٥ ٢٦ ٢٧ ٢٨ ٢٩ ٣٠ ٣١ ٣٢ ٣٣ ٣٤ ٣٥ ٣٦ ٣٧ ٣٨ ٣٩ ٤٠ ٤١ ٤٢ ٤٣ ٤٤ ٤٥ ٤٦ ٤٧ ٤٨ ٤٩ ٥٠ ٥١ ٥٢ ٥٣ ٥٤ ٥٥ ٥٦ ٥٧ ٥٨ ٥٩ ٦٠ ٦١ ٦٢ ٦٣ ٦٤ ٦٥ ٦٦ ٦٧ ٦٨ ٦٩ ٧٠ ٧١ ٧٢ ٧٣ ٧٤ ٧٥ ٧٦ ٧٧ ٧٨ ٧٩ ٨٠ ٨١ ٨٢ ٨٣ ٨٤ ٨٥ ٨٦ ٨٧ ٨٨ ٨٩ ٩٠ ٩١ ٩٢ ٩٣ ٩٤ ٩٥ ٩٦ ٩٧ ٩٨ ٩٩ ١٠٠



()
PJ6123
.A9

Princeton University Library



32101 074275007

